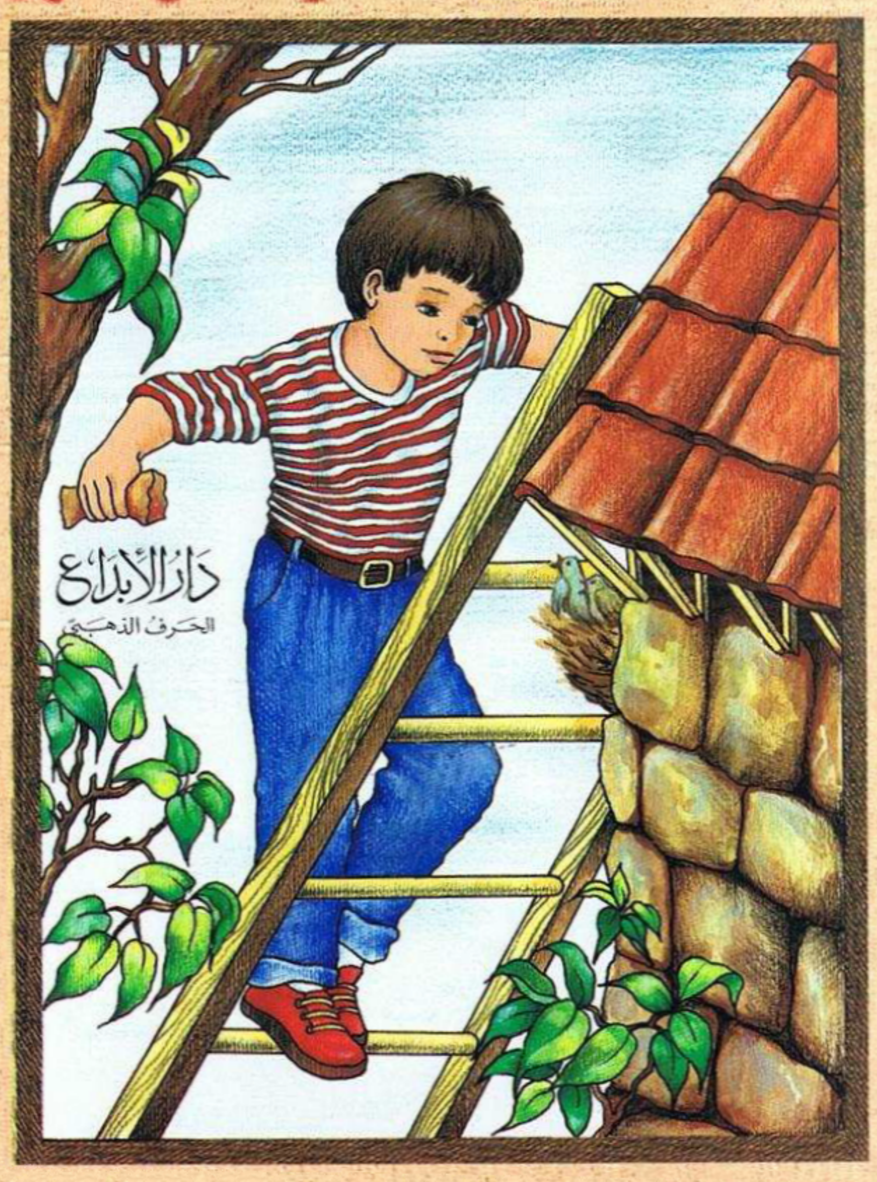
إدڤيك جريديني شيبوب

سر الآلة الطائرة

وقصص أخرى



سلسلة: المطالعة للإنشاء

سرّ الآلة الطائرة

وقصص أخرى

إدفيك جريديني شيبوب

أسئلة حول القصّة: ميرنا داغر

رسوم: تاتيانا جربنايا





هاتف : ٠٠٩٦١ ١ ٨٨٤١٣٥
٠٠٩٦١ ١ ٨٩٧٤٤٦

خلوي : ٠٠٩٦١ ٣ ٣٠٤٠٩٢
٠٠٩٦١ ٣ ٣٥٤٦٨٨

فاكس : ٠٠٩٦١ ١ ٨٩٧٤٤٦

ص.ب. : ١٩/١٩٥٤

e-mail: info@d-ibdaa.com
e-mail: daribdaa@hotmail.com
http://www.d-ibdaa.com

تنضيد الحروف : دار الإبداع
التّنفيذ التّقني :دار الإبداع
رسوم: تاتيانا جربنايا

طبعة جديدة

2012

ISBN 978-9953-535-31-9

سرّ الآلة الطائرة

ـ أَيْنَ «ضِياء»، سَأَلَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ، مُنْذُ الصَّباحِ لَمْ تَقَعْ عَيْناي عَلَيْهِ؟ أَتُراهُ خارِجَ البَيْتِ، في زِيارَةِ أَحَدِ رِفاقِهِ؟

ـ كَأَنِّي بِكَ تَفْتَقِدُ شَيْطَنَتَهُ وَضَجيجَهُ وَمُشاكَسَتَهُ لِإِخْوَتِهِ! أَجابَتِ الأُمُّ مُتسائِلَةً. لكِنْ، صَدِّقْ أَوْ لا تُصَدِّقْ، «ضِياء» في غُرْفَتِهِ، مُكِبًّا عَلى الآلَةِ الطّائِرَةِ الَّتي اشْتَرَيْتَها لَهُ أَمْسُ.. كانَتْ ساعَةَ خَيْرٍ عِنْدَما اخْتَرْتَ لَهُ هذِهِ الهَدِيَّةَ. إِنَّهُ لا يَفْتَأُ يُديرُ مِفْتاحَها، فَتَطيرَ..



ثُمَّ يَأْخُذُ يُقَلِّبُها بَيْنَ يَدَيْهِ وَيُطيلُ التَّأَمُّلَ فيها.. يَمُرُّ بِهِ إِخْوَتُهُ فَلا يَأْبَهُ لَهُمْ، أَوْ يَبْدو أَنَّهُ يَراهُم! كُلُّ كَدِّهِ مُنْصَبٌّ عَلى الهَدِيَّةِ، وَمَأْخوذٌ بِها: كَيْفَ تُراها تَطيرُ؟ بِأَيَّةِ قُوَّةٍ تَطيرُ؟

تَبادَلَ الزَّوْجانِ نَظَراتِ الدَّهْشَةِ وَالتَّعَجُّبِ! مَنْ يُصَدِّقُ أَنَّ ابْنَهُما «ضِياء»، الدّائِمَ الحَرَكَةِ، القَليلَ الصَّبْرِ، يَظَلُّ ساعاتٍ، في هُدوءٍ تامٍّ، رُبَّما كانَ، لِأَوَّلِ مَرَّةٍ في حَياتِهِ، يُثابِرُ عَلى تَشْغيلِ فِكْرِهِ!

- لِنَتْرُكْهُ وَشَأْنَهُ، اقْتَرَحَ الرَّجُلُ، فَنَرى ماذا سَيَحْصُلُ!

أَقْفَلَ «ضِياء» بابَ غُرْفَتِهِ، اتِّقاءً لِإِزْعاجِ إِخْوَتِهِ.. هٰذِهِ الآلَةُ الطّائِرَةُ أَسَرَتْ عَقْلَهُ.. وَهوَ لَنْ يَتْرُكَها قَبْلَ أَنْ يَكْتَشِفَ سِرَّها!

رَفَعَ الآلَةَ الطّائِرَةَ عالِيًا أَمامَ وَجْهِهِ. بَرَمَ مِفْتاحَها، أَطْلَقَها في الجَوِّ، فَارْتَفَعَتْ.. راحَ يُراقِبُها، وَلاحَظَ أَنَّ جَناحَيْها، يُشْبِهانِ بِحَرَكاتِهِما جَناحَيْ عُصْفور!

خَفَقَ قَلْبُهُ، وَأَحَسَّ أَنَّ العُقْدَةَ بَدَأَتْ تَتَحَلْحَلُ! وَها هُوَ قَدْ أَمْسَكَ بِرَأْسِ الخَيْطِ الَّذي سَيَدُلُّهُ عَلى الطَّريقِ! تَذَكَّرَ العُصْفورَ، صَديقَهُ العُصْفورَ المُعَشِّشَ تَحْتَ سَقْفِ القِرْميدِ.. لَطالَما حَمَلَ لَهُ فُتاتَ الخُبْزِ، في هذا البَرْدِ وَالزَّمْهَريرِ، عِنْدَما تَتَساقَطُ الأَمْطارُ غَزيرَةً، وَتَمْنَعُهُ مِنَ التَّحْليقِ في الخارِجِ، بَحْثًا عَنِ الطَّعامِ، لَهُ وَلِفِراخِهِ!

أَيْقَنَ «ضِياء» بِأَنَّ صَديقَهُ العُصْفورَ لَنْ يَخْذُلَهُ، بَلْ سَيَسْتَجيبُ لِطَلَبِهِ.. فَتَسَلَّلَ مِنْ غُرْفَتِهِ، يَحْمِلُ آلَتَهُ الطَّائِرَةَ بِيَدٍ، وَقُطْعَةَ خُبْزٍ كَبيرَةً بِاليَدِ الثَّانِيَةِ.. وَتَسَلَّقَ السُّلَّمَ المُؤَدِّيَ إِلى سَقْفِ القِرْميدِ.. هُناكَ، وَجَدَ العُصْفورَ يُفَرْفِرُ حَوْلَ فِراخِهِ بِحَنانٍ، وَكَأَنَّهُ يُحاوِلُ إِلْهاءَها عَنِ الطَّعامِ غَيْرِ المُتَيَسِّرِ لَهُ، رَيْثَما تَهْدَأُ العاصِفَةُ وَيَتَوَقَّفُ المَطَرُ..

اِبْتَسَمَ «ضِياء» لِلْعُصْفورِ وَهوَ يُفَتِّتُ قُطْعَةَ الخُبْزِ وَيَذُرُّها عَلى الأَرْضِ، عَلى مَقْرُبَةٍ مِنَ العُشِّ.. فَما كانَ

مِنَ العُصْفورِ إِلَّا أَنْ طارَ إِلَيْها بِجَذَلٍ، وَراحَ يَنْقُلُها، تِباعًا، لِفِراخِهِ الجائِعَةِ الَّتي ارْتَفَعَ تَصايُحُها، لِفَرْطِ شَراهَتِها، حَتَّى أَتَتْ عَلى القِسْمِ الأَكْبَرِ مِنَ الخُبْزِ!

عِنْدَئِذٍ، اقْتَرَبَ «ضِياء» مِنَ العُصْفورِ، وَبَرَّمَ أَمامَهُ مِفْتاحَ الآلَةِ الطَّائِرَةِ، فَلَمْ تَلْبَثْ أَنِ انْطَلَقَتْ تُلَوْلِحُ بِجَناحَيْها، وَهِيَ تَرْتَفِعُ إِلى فَوْق.. وَسَأَلَ «ضِياء»:

– هذِهِ الآلَةُ الطَّائِرَةُ تُشْبِهُكَ، يا صَديقي. إِنَّها تُقَلِّدُكَ في طَريقَةِ طَيَرانِها.. فَهَلَّا أَطْلَعْتَني عَلى سِرِّكَ، أَيُّها العُصْفورُ، لِأَنَّني راغِبٌ في أَنْ أَعْمَلَ آلَةً مِثْلَها تَطيرُ؟..

حَدَّقَ العُصْفورُ في الآلَةِ، حَتَّى أَنْهَتْ دَوْرَةَ طَيَرانِها وَحَطَّتْ عَلى الأَرْضِ.. ثُمَّ أَجابَ «ضِياء» قائِلًا:

ـ إذا كُنْتَ عازِمًا عَلى أَنْ تَتَوَرَّطَ في صُنْعِ آلَةٍ طائِرَةٍ، عَلَيْكَ أَوَّلًا أَنْ تَتَحَلّى بِالصَّبْرِ، فَلا تَجُنَّ أَوْ تَيْأَسْ لَدى أَوَّلِ فَشَلٍ.. لِأَنَّ مَشْروعًا كَهذا يَلْزَمُهُ الكَثيرُ مِنَ الصَّبْرِ وَالجَلَدِ، وَتَوَقُّعُ الفَشَلِ مِرارًا عَديدَة..

ـ حَسَنًا هذا صارَ مَعْلومًا، قالَ «ضياء»، ثُمَّ ماذا؟

ـ لِكَيْ أَطيرَ، شَرَحَ العُصْفورُ وَهوَ يَفْرُدُ جَناحَيْهِ عَلى سَبيلِ التَّطْبيقِ، أَفْعَلُ هكَذا، فَتَتَكَوَّنُ طَبَقَةٌ مِنَ الضَّغْطِ العالي تَحْتَ الجَناحَيْنِ، وَهذا الوَضْعُ يُساعِدُني عَلى الطَّيَرانِ، عَنْ طَريقِ تَحْريكِ جَناحَيَّ مِنْ فَوْقُ إِلى أَعْلى.

لَمْ يَكْتَفِ العُصْفورُ بِالشَّرْحِ، بَلْ مَضى يُطَبِّقُ نَظَرِيَّتَهُ، مُلَوِّحًا بِجَناحَيْهِ إِلى الأَعْلى.. فَالأَعْلى.. وَالصَّبِيُّ شاخِصٌ إِلَيْهِ، بِكُلِّ حَواسِّهِ، يُحاوِلُ أَنْ يَسْتَوْعِبَ سِرَّ طَيَرانِ العُصْفورِ، بِالمُقارَنَةِ مَعَ آلَتِهِ الطّائِرَة.. وَلَمّا تَهَيَّأَ لَهُ أَنَّهُ فَهِمَ الدَّرْسَ، شَكَرَ

العُصْفورَ، وَعادَ أَدْراجَهُ إِلى غُرْفَتِهِ لِإِجْراءِ المَزيدِ مِنَ الدِّراسَةِ التَّطْبيقيَّة..

احْتَرَمَ أَبَواهُ خَلْوَتَهُ، وَلَمّا الْتَمَسَ «ضِياء» مُساعَدَةَ أَبيهِ في اسْتِحْضارِ ما يَلْزَمُهُ مِنْ مَوادَّ وَأَدَواتٍ، لَبّى أَبُوهُ طَلَبَهُ بِكُلِّ سُرور..

أَمْضى الصَّبِيُّ كُلَّ أَوْقاتِ فَراغِهِ في العَمَلِ عَلى آلَتِهِ الطّائِرَةِ، غَيْرَ ناسٍ لَحْظَةً، وَصِيَّةَ العُصْفورِ الثَّمينَةَ. وَأَمامَ فَشَلِ تَجارِبِهِ الأُولى، حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ أَحْيانًا بِالتَّخَلّي عَنْ مَشْروعِهِ، وَالعَوْدَةِ إِلى طَيْشِهِ العَتيدِ وَمُشاكَسَةِ إِخْوَتِهِ الصِّغارِ.. عِنْدَئِذٍ، كانَتْ كَلِماتُ العُصْفورِ لا تَلْبَثُ أَنْ تَرِنَّ في أُذُنِهِ:

ـ كُنْ صَبورًا، وَلا تَجُنَّ لِأَوَّلِ فَشَل!

.. وَهكَذا ثَبَتَ «ضِياء». صارَعَ اليَأْسَ وَصَدَّ الفَشَلَ، وَثابَرَ عَلى تَجارِبِهِ، بِعَزيمَةٍ لا تَفْتُرُ، حَتّى

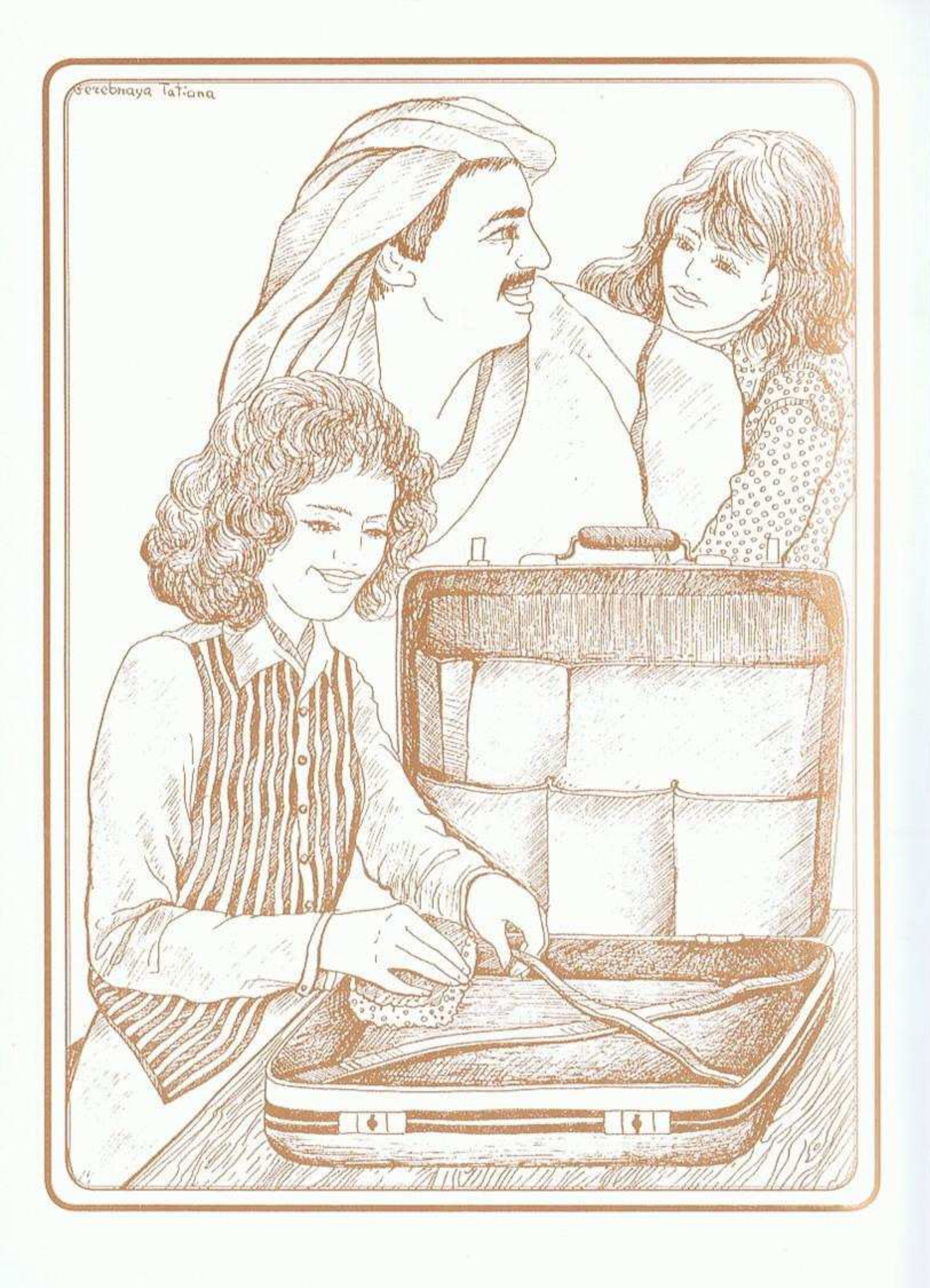
اسْتَتَبَّ لَهُ النَّصْرُ.. وَوَقَفَ يُراقِبُ آلَتَهُ الطَّائِرَةَ تَرْتَفِعُ عالِيًا، وَهِيَ تُلَوِّحُ بِجَناحَيْها المُتَوازِنَيْنِ.. وَلَمْ تَقَعْ فَتَتَحَطَّمَ!؟؟ أَمَّا أَبو ضِياءَ، فَلَمْ يُفاجَأْ بِنَجاحِ ابْنِهِ.. لَقَدْ تَوَقَّعَ لَهُ هذِهِ النَّتيجَةَ الباهِرَةَ.. وَتَوَقَّعَ أَكْثَرَ مِنْ ذلِكَ وَهوَ يُراقِبُهُ مِنْ بَعيدٍ، مُتَذَرِّعًا بِالمُثابَرَةِ وَالصَّبْرِ، مُغالِبًا الفَشَلَ وَاليَأْسَ.. وَعِنْدَما دَعا «ضِياء» أَبَوَيْهِ وَإِخْوَتَهُ لِيَشْهَدوا ثَمَرَةَ نَجاحِهِ، هَنَّأَهُ الجَميعُ وَصَفَّقوا لَهُ بِحَماسَةٍ حارَّةٍ.. وَكانَتْ ذُرْوَةُ المَشْهَدِ المُثيرِ، إِعْلانَ «ضِياء» أَمامَ أَفْرادِ أُسْرَتِهِ، بِأَنَّهُ وَجَدَ الطَّريقَ لِمُسْتَقْبَلِهِ، وَقَرَّرَ أَنْ يَتَخَصَّصَ مُهَنْدِسَ طَيَرانٍ!..

وَلِمَ لا؟ أَلَمْ يَبُحْ لَهُ صَديقُهُ العُصْفورُ بِسِرِّ المِهْنَةِ؟

ماذا تَبْغي «نوّار»؟

.. مَعَ إِطْلالَةِ ذلِكَ الصَّباحِ مِنْ شَهْرِ حُزَيْرانَ، هَبَّتْ نَسْمَةٌ دافِئَةٌ، وَلَفَحَتْ وَجْهَ «نوّار» النّائِمَةِ، فَفَتَحَتْ، لِلْحالِ، عَيْنَيْها السَّوْداوَيْنِ، وَرَدَّتِ الشَّعْرَ المُرْسَلَ عَنِ الجَبينِ المُنَدّى بِالعَرَقِ، وَراحَتْ تَتَهادى في مِشْيَتِها نَحْوَ قاعَةِ الطَّعامِ حَيْثُ تَجَمَّعَ أَفْرادُ أُسْرَتِها، حَوْلَ المائِدَةِ، يَتَحَدَّثونَ وَيَشْرَبونَ الشّايَ مَعَ ما تَيَسَّرَ مِنَ الخُبْزِ وَالجُبْنِ وَالعَسَلِ..

ـ صَباحُ الخَيْرِ..، بادَرَتْهُمْ «نوّارُ» بِصَوْتٍ شَجِيٍّ، وَكَأَنَّها تَسيرُ في نَوْمِها.. يَغْلِبُها النُّعاسُ.. وَأَجْفانُها في شِبْهِ عِناقٍ!



ـ يا اللهُ! ما أَجْمَلَ هذِهِ الطِّفْلَةَ! هَمَسَ الرَّجُلُ في أُذُنِ زَوْجَتِهِ، وَلَعَلَّها أَشَدُّ جمالًا لَحْظَةَ تَسْتَفيقُ مِنَ النَّوْمِ.. وَفَتَحَ ذِراعَيْهِ لِصَغيرَتِهِ المُدَلَّلَةِ، الَّتي تَعْرِفُ كَيْفَ تَتَسَلَّلُ إِلى تَيْنِكَ الذِّراعَيْنِ.. وَتَعْرِفُ كَيْفَ تَرْتَمي عَلى صَدْرِ أَبيها بِغُنْجٍ، وَتُطَوِّقُ عُنْقَهُ بِأَصابِعِها المُرَوَّسَةِ السَّمْراءِ!

ـ ماذا تَبْغي «نوّارُ» اليَوْمَ؟ سَأَلَتْها أُمُّها الَّتي تُدْرِكُ بَراعَةَ ابْنَتِها في الطَّلَبِ، مَتى رَغِبَتْ في أَمْرٍ ما..

.. تَمَهَّلَتِ الصَّغيرَةُ، وَطالَ تَرَدُّدُها، حَتّى إِذا تَكَرَّرَ السُّؤالُ، اسْتَدارَتْ «نوّارُ» نَحْوَ أُمِّها بِالعَيْنَيْنِ الحَوْراوَيْنِ، وَمَسَحَتِ العَرَقَ عَنِ الجَبينِ الرَّحْبِ، قَبْلَ أَنْ تُجيبَ:

ـ لَقَدْ بَكَّرَ الحَرُّ هذا العامَ، يا أُمّي، وَالمَدارِسُ، مُنْذُ أَيّامٍ، باشَرَتِ امْتِحاناتِها النِّهائِيَّةَ، وَالعُطْلَةُ عَلى الأَبْوابِ.. فَهَلْ نَحْنُ باقونَ هُهُنا؟.. أَمْ إِنَّكُمْ نَسيتُمْ

وَعْدَكُمْ لَنا بِالسَّفَرِ إِلى لُبْنانَ، وَقَدْ طالَ شَوْقُنا إِلى رُبوعِهِ الجَميلَةِ، وَإِلى أَصْدِقائِنا الكَثيرينَ هُناكَ؟

اِسْتَغْرَبَ الأَبوانِ، مِثْلَ هذا الكَلامِ المُنَمَّقِ، يَصْدُرُ بِهذا التَّنْسيقِ عَنِ ابْنَةِ السَّبْعِ سِنين.. وَتَنَحْنَحَ الأَبُ قَبْلَ أَنْ يَتَوَلّى الإِجابَةَ عَنْ زَوْجَتِه.

ـ أَوَّلًا، إِنَّ الحَرَّ لَمْ يُبَكِّرْ، بَلْ أَقْبَلَ في أَوانِهِ.

ـ ثانِيًا.. وَبَيْتُنا مُريحٌ، وَمُجَهَّزٌ بِأَحْدَثِ وَسائِلِ التَّبْريدِ.. ثُمَّ إِنَّنا لَمْ نُعْلِنْ بَعْدُ عُدولَنا عَنِ السَّفَرِ وَعَنْ وَعْدِنا الَّذي أَشَرْتِ إِلَيْهِ يا «نَوّارُ».. أَلا تَعْتَقِدينَ أَنَّكِ ظَلَمْتِنا سَلَفًا في إِصْدارِ حُكْمٍ مُبْرَمٍ عَلَيْنا؟

.. هُنا، تَحَرَّكَ الإِخْوَةُ وَالأَخَواتُ مِنْ مَقاعِدِهِمْ، وَتَحَلَّقوا بِاهْتِمامٍ حَوْلَ كُرْسِيِّ والِدِهِمْ، وَ«نَوّارُ» في حِضْنِهِ. هذا الحِوارُ القَصيرُ أَثارَ في صُدورِهِم فِكْرَةً مُحَبَّبَةً طالَما راوَدَتْهُمْ، لكِنَّ أَحَدًا لَمْ يَجْرُؤْ على

طَرْحِها إِلّا «نَوّار»؛ لا رَيْبَ أَنَّها أَجْرَأُهُم.. وَرُبَّما مَرَدُّ ذلِكَ إِلى كَوْنِها، بَيْنَ إِخْوَتِها، الأَحَبَّ إِلى قَلْبِ أَبيها، وَهوَ أَمْرٌ لَمْ يَعُدْ سِرًّا، وَقَدْ كانَ في الماضي سَبَبًا لاِحْتِدامِ الغَيْرَةِ مِنْها، أَمّا اليَوْمَ، فَالأَمْرُ مُخْتَلِفٌ، وَهُمْ بِالإِجْماعِ، مَتَواطِئونَ مَعَ أُخْتِهِم الصُّغْرى، يَدْعَمونَ مَوْقِفَها بِإِصْرارٍ وَبِدونِ تَحَفُّظٍ، وَقَدْ تَجَلّى ذلِكَ مِنْ نَظَراتِهِم اللَّهْفى المُؤَيِّدَة..

اِلْتَفَتَ الرَّجُلُ إِلى زَوْجَتِهِ، وَقَدْ خامَرَهُما مَعًا شُعورٌ غامِضٌ، كَما لَوْ أَنَّهُما وَسَطَ مُؤامَرَةٍ مُدَبَّرَة!! لا! إِنَّهُ لَنْ يَسْمَحَ لِلأَوْلادِ، حَتّى وَإِنْ تَكُنِ المُبادَرَةُ جاءَتْ مِنْ «دَلّوعَتِه»، بِأَنْ يَفْرِضوا رَأْيَهُمْ عَلَيْه، وَيَضَعوهُ أَمامَ الأَمْرِ الواقِع..

.. بِلُطْفٍ، قَبَّلَ خَدَّ «نَوّار»، لِئَلّا يَمَسَّ رَهافَةَ إِحْساسِها، وَأَنْزَلَها عَنْ حِضْنِهِ، ثُمَّ صَفَّقَ بِيَدَيْهِ صائِحًا بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ لِيُفَرِّقَ الأَوْلادَ المُلْتَفّينَ حَوْلَهُ:

ـ «هَيّا إلى ثِيابِكُم.. وَإلى المَدارِسِ.. لِئَلّا يَدْهَمَكُمُ الوَقْتُ.. إنَّ مَوْضوعَكُمُ المَطْروحَ لَيْسَ مُسْتَبْعَدًا عَلى الإطْلاقِ، لكِنَّنا لَمْ نَسْتَكْمِلْ دَرْسَهُ بَعْدُ، وَسَنُوافيكُمْ قَريبًا بِما يَسْتَجِدُّ..

قالَ هذا، وَنَهَضَ بِعَصَبِيَّةٍ، مُتَوَجِّهًا إلى غُرْفَتِهِ، وَزَوْجَتُهُ في الأَثَرِ.. لَقَدْ نَجَحَ في حَسْمِ الأَمْرِ مُؤَقَّتًا، رَيْثَما يَنْتَهي مِنْ تَدارُسِ أَوْضاعِ العائِلَةِ، مِنْ جَميعِ وُجوهِها، وَعِنْدَئِذٍ، لا الآنَ، سَوْفَ يُعْلِنُ قَرارَهُ الأَخير..

.. كانَتْ «نوّار» أَوَّلَ العائِدينَ مِنَ المَدْرَسَةِ. وَبِسَبَبِ ارْتِفاعِ الحَرارَةِ، أَكَلَتْ شَيْئًا مِنَ الخُضارِ وَالأَرُزِّ وَاللَّبَنِ، وَنامَتْ.. ثُمَّ، تَوافَدَ إِخْوَتُها، الواحِدُ تِلْوَ الآخَرِ، حَتّى إذا تَلاقَوا حَوْلَ مائِدَةِ الغَداءِ، مَضَوا يَمْرَحونَ وَيَتَداوَلونَ حَوْلَ ما جاءَهُمْ مِنْ أَسْئِلَةٍ في الامْتِحاناتِ.. الصِّغارُ يَسْأَلونَ الكِبارَ، وَالكِبارُ

يُصَحِّحُونَ، وَالكُلُّ راضٍ سَعيدٌ. وَبَعْدَ الغَداءِ، تَفَرَّقوا إلى غُرَفِهِمْ لِلرّاحَةِ، وَلاسْتِئْنافِ الدَّرْسِ لِامْتِحانِ الغَدِ..

.. وَحْدَهُ الرَّجُلُ ـ أبوهُمْ ـ أَمْضى يَوْمَهُ في قَلَقٍ وَتَفْكيرٍ عَميقٍ.. وَكانَ كَيْفَما اتَّجَهَ، وَقَفَ السُّؤالُ الكَبيرُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ، وَدَغْدَغَ خاطِرَهُ بِأَمانٍ كَثيرَةٍ، طالَما تَمَنّى تَحْقيقَها.. وَانْتَهى إلى قَناعَةٍ نابِعَةٍ مِنْ صَميمِ إِرادَتِهِ، بِأَنَّ الاصْطِيافَ في لُبْنانَ، وَبِخاصَّةٍ هذا العامَّ، هوَ أَحَدُ أَكْبَرِ أَحْلامِهِ! .. وَرُبَّما كانَ أَشَدَّ حَماسَةً لَهُ مِنْ أَوْلادِهِ جَميعًا.. إنَّما.. لَقَدَ عَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يُفاجَأَ هكَذا.. وَمِنْ «نوّار» بِالذّاتِ!

.. غادَرَ مَكْتَبَهُ، شارِدَ الذِّهْنِ، مُشَتَّتَ الأَفْكارِ، وَجالَ في المَدينَةِ جَوْلَةً مُتَمَهِّلَةً..

وَلَمّا وَصَلَ أَخيرًا إلى البَيْتِ، ذَهَبَ لِتَوِّهِ يَتَفَقَّدُ صَغيرَتَهُ الحُلْوَةَ، فَإذا بِها نائِمَةٌ كَالمَلاكِ..

اِسْتَفْهَمَ مِنْ أُمِّها بِاهْتِمام:

ـ هَلْ عادَتْ «نوّار» تَسْأَلُ.. وَتَتَحَدّى.. وَتُحْرِجُنا؟

ـ كَلّا، أَجابَتِ الأُمُّ بِهُدوءٍ، لَمْ تَفْتَحْ فَمَها بِالمَوْضوعِ وَلا أَحَدٌ مِنْ إِخْوَتِها فَعَلَ.. رُبَّما نَسوْهُ!..

أَثْناءَ الغَداءِ، دارَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ حَديثٌ مَهْموسٌ..

وَلَمّا أَفاقَتْ «نوّار»، كانَ في انْتِظارِها مُفاجَأَةٌ سارَّةٌ، فَتَراكَضَ إِخْوَتُها عَلى صَخَبِ ضِحْكِها وَصِياحِها:

أُمُّها تَنْفُضُ الغُبارَ المُتَراكِمَ عَلى الحَقائِبِ الكَبيرَةِ.. وَفي جَيْبِ أَبيها تَذاكِرُ سَفَرٍ بِالطّائِرَةِ، لِجَميعِ أَفْرادِ الأُسْرَةِ.. إِلى لُبْنان!

حَديثُ الفَراشَة

كانَتْ «سَناء» كُتْلَةَ إِحْساسٍ وَحَنانٍ. أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْها، بِكُلِّ ما تَتَمَنّاهُ فَتاةٌ يافِعَةٌ مِنْ رَفاهٍ وَمَحَبَّةٍ أَبَوِيَّةٍ. لٰكِنَّها لَمْ تَكُنْ يَوْمًا سَعيدَةً كَإِخْوَتِها، كَأَنَّ شَيْئًا كانَ يَنْقُصُها وَيَحْجُبُ عَنْها هَناءَةَ العَيْشِ..

وَفيما هِيَ تَتَنَقَّلُ في حَديقَةِ بَيْتِها ذاتَ صَباحٍ، لَفَتَ انْتِباهَها فَراشَةٌ حَمْراءُ تَهيمُ عَلى هَواها، بَيْنَ زَهْرَةٍ وَزَهْرَةٍ.. فَراحَتْ تَتَأَمَّلُها عَنْ كَثَبٍ، وَكَأَنَّها أَوْحَتْ إِلَيْها بِما ساعَدَها عَلى حَلِّ مُشْكِلَتِها.. قالَتْ لَها الفَراشَةُ:

ـ أَنْتِ يا «سَناءُ» تعيسَةٌ لِأَنَّكِ بِحاجَةٍ إِلى مُساعَدَةِ غَيْرِكِ. نَفْسُكِ عامِرَةٌ بِحُبِّ المُساعَدَةِ وَالعَطْفِ عَلى الغَيْرِ. وَأَنْصَحُكِ في البَحْثِ عَنْ ذاتِكِ في «سِجْنِ النِّساءِ». هُناكَ يُمْكِنُكِ مُساعَدَةُ هؤُلاءِ السَّجيناتِ البائِساتِ.. وَأَنا أَعْرِفُ مَعْنى السِّجْنِ، لِأَنَّني قَبْلَ أَنْ أَصيرَ فَراشَةً حُرَّةً، كُنْتُ سَجينَةً داخِلَ شَرْنَقَة.. اِذْهَبي، مِنْ غَدٍ، إِلى السِّجْنِ، تَرَي بِنَفْسِكِ أَيَّ مَجالٍ واسِعٍ لِلْعَمَلِ وَالمُساعَدَةِ يَنْتَظِرُكِ هُناكَ..

سُرَّتْ «سَناء» لِما سَمِعَتْهُ مِنَ الفَراشَةِ. لَقَدْ لَمَسَتْ في نَفْسِها وَتَرًا حَسَّاسًا. وَلَمَّا طَلَبَتِ الإِذْنَ مِنْ أَبيها، كانَ جَوابُهُ الرَّفْضَ. وَقالَ لَها بِلَهْجَةٍ تَقْرُبُ مِنَ الغَضَبِ:

ـ هؤُلاءِ السَّجيناتُ مُجْرِماتٌ، لا يُقَدِّرْنَ مُبادَرَةً طَيِّبَةً مِنْ فَتاةٍ رَقيقَةٍ مِثْلِكِ!

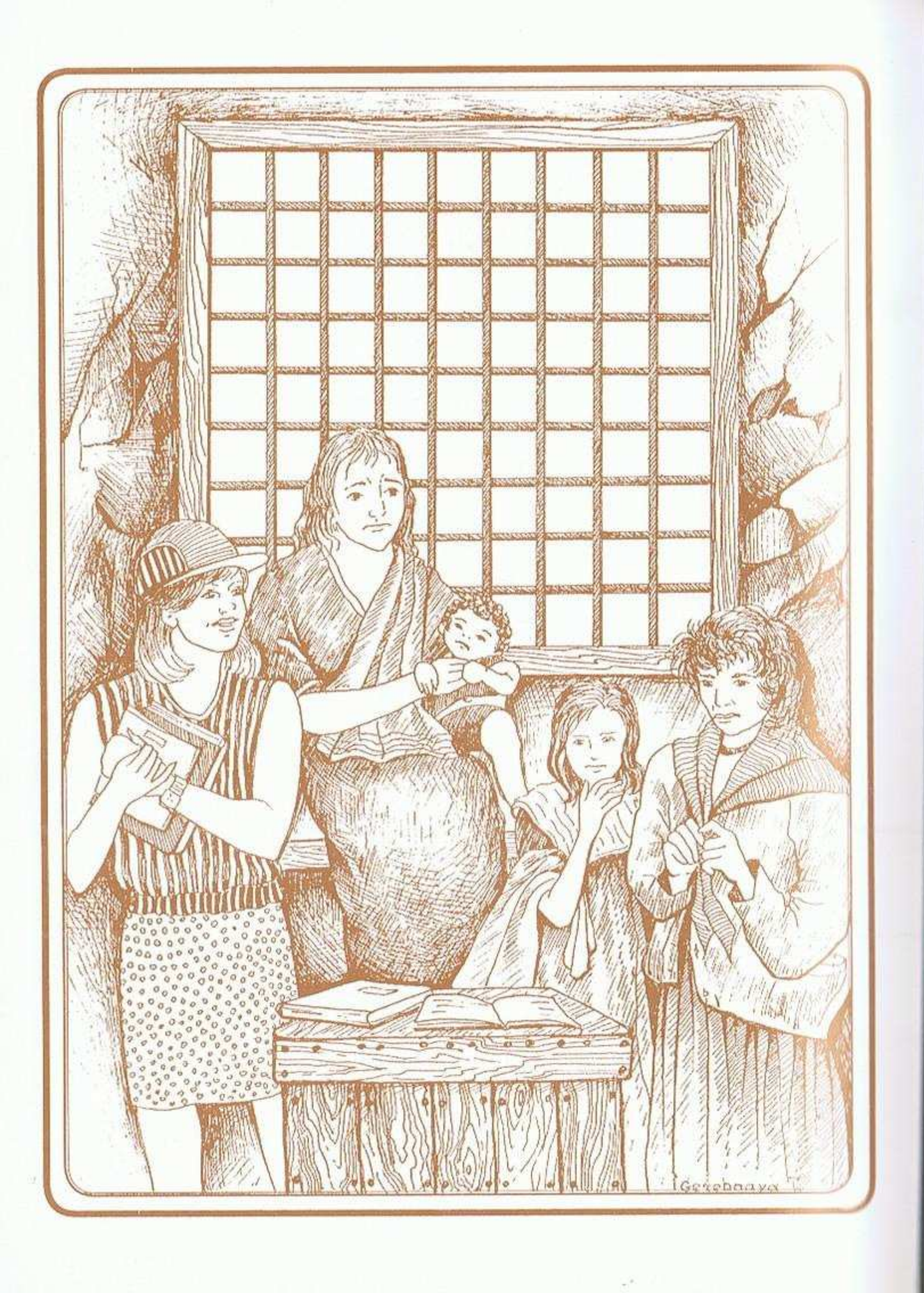
غَيْرَ أَنَّ «سَناء» لَمْ تَقْتَنِعْ بِحُجَّةِ أَبيها، وَلَمْ تَشَأْ أَنْ تُخالِفَ رَأْيَهُ، فَانْزَوَتْ في غُرْفَتِها وَمَضَتْ تَبْكي وَتَبْكي.. فَعادَ الأَبُ، الحَريصُ عَلى سَعادَةِ ابْنَتِهِ، يُفَكِّرُ في طَلَبِها، لَعَلَّهُ يَجِدُ لَهُ حَلًّا مَقْبولًا.. وَلَمْ يَكُنْ أَمامَهُ سِوى النُّزولِ عِنْدَ إِرادَتِها، فَقالَ لَها، وَهوَ يُمَلِّسُ شَعْرَها وَيُطَيِّبُ خاطِرَها:

ـ كُفِّي عَنْ بُكائِكِ يا صَغيرَتي. وَما دُمْتِ مُصِرَّةً عَلى رَأْيِكِ، تُعَلِّقينَ عَلَيْهِ كُلَّ هذِهِ الأَهَمِّيَّةِ، فَلْيَكُنْ لَكِ ما تُريدينَ. وَسَأَتَّصِلُ بِإِدارَةِ «سِجْنِ النِّساءِ» لِتَسْهيلِ مُهِمَّتِكِ، وَلِحِمايَتِكِ إِذا دَعَتِ الحاجَةُ! ..

تَهَلَّلَ وَجْهُ «سَناء» لَدى سَماعِها كَلامَ أَبيها. وَأَشْرَقَتْ عَيْناها الحُلْوَتانِ، وَهِيَ تُطَوِّقُ عُنُقَهُ بِذِراعَيْها، وَتُمْطِرُهُ بِقُبُلاتِها قائِلَةً:

ـ شُكْرًا وَأَلْفَ شُكْرٍ، يا أَحْلى أَبًا في الدُّنْيا!

عِنْدَما وَطَأَتْ قَدَما «سَناء» عَتَبَةَ «سِجْنِ النِّساءِ»، بَعْدَ أَيَّامٍ، صُعِقَتْ لِما رَأَتْ وَسَمِعَتْ: كانَ المَكانُ غَايَةً في القَذارَةِ وَالعُفونَةِ، تَفوحُ مِنْهُ الرَّوائِحُ الكَريهَةُ. وَمَنْظَرُ السَّجيناتِ الخامِلاتِ، بِثِيابِهِنَّ الرَّثَّةِ وَشُعورِهِنَّ المُشَعَّثَةِ.. كُنَّ يَتَعارَكْنَ وَيَتَصايَحْنَ بِأَصْواتٍ ناشِزَةٍ.. وَقَفَتْ «سَناء» تَرْتَعِدُ أَمامَ هذا المَشْهَدِ المُخيفِ، وَراوَدَها شُعورٌ بِالاخْتِناقِ.. وَحَدَّثَتْها نَفْسُها بِالتَّراجُعِ تَحْتَ وَطْأَةِ النَّظَراتِ القاسِيَةِ المُصَوَّبَةِ إِلَيْها.. لِماذا؟؟ .. لِمُجَرَّدِ أَنَّ هؤُلاءِ البائِساتِ لا يَعْرِفْنَ شَيْئًا أَفْضَلَ لِمُواجَهَةِ مِثْلِ هذا المَوْقِفِ. لَمْ يَسْبِقْ لِأَحَدٍ، قَطُّ، أَنْ عَلَّمَهُنَّ، مَثَلًا، وَلَوْ شَيْئًا مِنْ مَبادِئِ النَّظافَةِ أَوِ التَّهْذيبِ.. غَيْرَ أَنَّ الفَتاةَ لَمْ تَتَراجَعْ، بَلِ اسْتَمَدَّتْ مِنَ الضَّعْفِ قُوَّةً، وَوَقَفَتْ بِثَباتٍ تُواجِهُ النَّظَراتِ القاسِيَةَ، حَتَّى إِذا هَجَمَتْ إِحْدى السَّجيناتِ عَلى الثّانِيَةِ صارِخَةً، وَعَضَّتْها



كَحَيَوانٍ شَرِسٍ، رَجَتْها «سَناء» بِصَوْتٍ عالٍ وَحازِمٍ أَنْ تَكُفَّ!

هُنا حَصَلَ شَيْءٌ غَريبٌ. تَوَقَّفَ الجَميعُ عَنِ الكَلامِ، وَتَبادَلْنَ الهَمَساتِ المَشْبُوهَةَ:

ـ ماذا تُريدُ مِنّا هذِهِ المُتَطَفِّلَةُ؟ هَلْ جاءَتْ لِتَهْزَأَ بِنا؟ تَعالَيْنَ نُمَزِّقُ فُسْتانَها الجَميلَ، أَوْ نَغْرِزَ أَظافِرَنا في وَجْهِها..

تَناهَتِ الهَمَساتُ إِلى سَمْعِ «سَناء»، فَصَحَّحَتْ ظُنونَهُنَّ، مُؤَكِّدَةً القَوْلَ:

ـ لَمْ آتِ لِمِثْلِ ذلِكَ.. بَلْ جِئْتُ لِمُساعَدَتِكُنَّ .

.. لكِنَّ تَأْكيدَ «سَناء» لَمْ يَعْنِ شَيْئًا لِلسَّجيناتِ الغاضِباتِ، وَرُبَّما كُنَّ قَضَيْنَ عَلَيْها، لَولا تَدَخُّلُ العِنايَةِ الإِلهيَّةِ في اللَّحْظَةِ الحاسِمَةِ، حَيْثُ لَمَحَتْ «سَناء»، في زاوِيَةِ السِّجْنِ، طِفْلًا مَريضًا يَئِنُّ، فَما

كانَ مِنْها إِلّا أَنْ تَقَدَّمَتْ نَحْوَهُ بِعَفْوِيَّةٍ، وَأَخَذَتْهُ بَيْنَ ذِراعَيْها، بِحَنانٍ، وَخاطَبَتِ السَّجيناتِ بِصَوْتٍ أَكْثَرَ ثَباتًا وَثِقَةً:

ـ ما ذَنْبُ هذا الطِّفْلِ المَريضِ لِيَكونَ مَعنا؟ لا رَيْبَ أَنَّ بَعْضَكُنَّ أُمَّهاتٌ. أَيَهُونُ عَلَيْكُنَّ أَنْ يَنْشَأَ أَطْفالُكُنَّ في هذا الجَوِّ المَوْبوءِ الَّذي رُبَّما جَعَلَ مِنْهُمْ سُجَناءَ مِثْلَكُنَّ؟.. أَمْ تُراكُنَّ تُؤْثِرْنَ لَهُمْ مُسْتَقْبَلًا أَفْضَلَ؟

فَجْأَةً حَلَّتِ المُعْجِزَةُ! تَوَقَّفَتِ السَّجيناتُ عَنِ العِراكِ وَالصِّياحِ، وَطَأْطَأْنَ رُؤوسَهُنَّ.. وَمِنْ فَرْطِ التَّأَثُّرِ مِمّا سَمِعْنَ، كَرَجَتْ عَلى وُجوهِهِنَّ الدُّموعُ.. وَعُدْنَ إِلى التَّهامُسِ، إِنَّما بِنَبْرَةٍ بَعيدَةٍ عَنِ القَساوَةِ:

ـ يَبْدو أَنَّها فَتاةٌ لَطيفَةٌ، وَأَنَّها حَقًّا تَبْغي مُساعَدَتَنا! لا أَحَدَ، قَبْلَها، زارَ السِّجْنَ لِمُساعَدَةِ أَوْلادِنا.. أَوْ لِمُساعَدَتِنا..

وَأَحْضَرَتْ سَجينَةٌ شابَّةٌ كُرْسِيًّا، لِتَجْلِسَ «سَناء» عَلَيْها، فَكانَتْ هذِهِ البادِرَةُ الطَّيِّبَةُ نُقْطَةَ تَحَوُّلٍ في عَلاقَتِها مَعَ السَّجيناتِ اللَّواتي أَسْرَعْنَ يَعْرِضْنَ أَطْفالَهُنَّ عَلَيْها، بِعُيونٍ لا أَثَرَ فيها لِلنِّقْمَةِ أَوِ الغَضَبِ..

كَمِثْلِ الوَحْيِ تَسارَعَتِ الكَلِماتُ مِنْ فَمِ «سَناء»:

ـ يَجِبُ أَنْ نَعْمَلَ شَيْئًا مِنْ أَجْلِ هؤُلاءِ الأَطْفال!

أَقْتَرِحُ أَنْ تُفْتَحَ مَدْرَسَةٌ لَهُمْ هُنا في السِّجْنِ! ..

بِعُيونٍ بَريئَةٍ لَمْ تَعْرِفِ العَطْفَ، نَظَرَ الأَطْفالُ إِلى «سَناء»، وَابْتَسَموا لَها، رُبَّما لِأَوَّلِ مَرَّةٍ في حَياتِهِم!!

وَفي اليَوْمِ الثّاني تَحَقَّقَ حُلُمُ «سَناء».. فُتِحَتْ مَدْرَسَةٌ صَغيرَةٌ عَلَّمَتْ فيها أَوْلادَ السَّجيناتِ القِراءَةَ وَالكِتابَةَ. وَلَمّا كانَ مُعْظَمُ الأُمَّهاتِ أُمِّيّاتٍ، فَقَدْ وَقَفْنَ يُراقِبْنَ الدُّروسَ، وَيَتَحَرَّقْنَ عَلى فُرْصَةٍ

مُماثِلَة.. وَالعَجيبُ، أَنَّ السِّجْنَ، صارَ نَظيفًا مُرَتَّبًا، وَالسَّجيناتِ كَذلِكَ.. وَبَعْدَ حينٍ، تَقَدَّمْنَ مِنْ «سَناء» الصَّغيرَةِ بِطَلَبٍ مُلِحٍّ:

ـ يا حَبَّذا. بَلْ نَتَوَسَّلُ إِلَيْكِ يا «سَناء»، أَنْ تَفْتَحي لَنا مَدْرَسَةً، أُسْوَةً بِأَوْلادِنا. فَنَحْنُ قَدْ نَكونُ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلى التَّعَلُّمِ!!

وَهذا الطَّلَبُ الصّادِرُ بِصِدْقٍ وَتَوَسُّلٍ، ضاعَفَ مِنْ هِمَّةِ «سَناء»، وَمِنْ سَعادَتِها أَيْضًا، فَباشَرَتْ، عَلى الفَوْرِ، تُعَلِّمُهُنَّ الحِياكَةَ وَالخِياطَةَ، فَضْلًا عَنْ إِشْراكِهِنَّ مَعَ أَوْلادِهِنَّ في دُروسِ القِراءَةِ وَالكِتابَةِ، وَكانَتْ سُرْعَةُ اسْتيعابِهِنَّ أَمْرًا لا يُصَدَّقُ!.. عَمِلْنَ أَشْغالًا يَدَوِيَّةً جَميلَةً باعَتْها «سَناء» في الخارِجِ وَأَعْطَتْهُنَّ أَثْمانَها، فَكانَتْ أَوَّلَ مَرَّةٍ يَنَلْنَ فيها دَراهِمَ مِنْ تَعَبِهِنَّ، وَعَنْ غَيْرِ طُرُقِ السَّرِقَةِ أَوِ التَّسَوُّلِ.. وَكَمْ كانَتْ سَعادَتُهُنَّ بِذلِكَ عَظيمَةً!!

أَمَّا «سَناء»، فَكانَتْ تُعَلِّلُ هذا التَّغْييرَ الإِيجابيَّ المُدْهِشَ بِالقَوْلِ:

ـ العَمَليَّةُ بَسيطَة: السِّجْنُ يَجِبُ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلى إِصْلاحيَّةٍ لِتَأْهيلِ السَّجيناتِ، وَمَنْحِهِنَّ العَطْفَ ـ مِفْتاحَ السَّعادَةِ الأَوْحَدَ. وَالسَّجينُ، عِنْدَما يُصْبِحُ سَعيدًا، يَنْتَصِرُ فيهِ الخَيْرُ عَلى الشَّرِّ، وَسَعادَتُنا ـ نَحْنُ البَشَرُ ـ لَيْسَتْ سِوَى حَصيلَةٍ لِسَعادَةِ الآخَرينَ!!

غَدًا نَكْبَرُ!

.. مَضَتْ ساعَتانِ، وَرُبَّما أَكْثَرُ، وَ«نُعْمانُ» يَتَقَلَّبُ في فِراشِهِ، مِنْ جَنْبٍ إِلى جَنْبٍ، في حُلْكَةِ اللَّيْلِ الدّامِسَة.. عَيْنُهُ عَلى النّافِذَةِ المُطِلَّةِ عَلى السّاحِلِ، حَيْثُ لا بَصيصَ نورٍ، يُمْكِنُ أَنْ يَكْشِفَ لَهُ عَمّا يَجْري في الخارِجِ، مُحْدِثًا أَصْواتًا رَتيبَةً ناشِزَةً، لا عَهْدَ لَهُ بِمِثْلِها..

عَنْ يَمينِهِ أَخَواهُ الصَّغيرانِ «رَبيع» وَ«فادي»، يَغُطّانِ في النَّوْمِ، وَجَدُّهُ عَجوزٌ مُكابِرٌ أَنْهَكَتْهُ السُّنونَ الصَّعْبَةُ الَّتي عَصَفَتْ بِجَنوبِنا العَزيزِ ـ شَتَّتْ شَمْلَ بَنيهِ.

وَقَضَتْ على مَوارِدِ رِزْقِهِمْ ـ وَهيَ مَعْلوماتٌ، يُلَمْلِمُها ابْنُ الثَّامِنَةِ، نُتَفًا نُتَفًا، مِنْ رِفاقِهِ في الحَيِّ الشَّعْبيِّ، مِنَ القَرْيَةِ الحُدوديَّةِ المَنْكُوبَةِ. وَكُلَّما جَلَسَ عَلى حافَّةِ سَريرِ جَدِّهِ، أَمْطَرَهُ السُّؤالَ تِلْوَ السُّؤالِ:

ـ أَيْنَ أَبي، يا جَدِّي، لِماذا قَلَّما نَراهُ بَيْنَنا، عَلى نَحْوِ ما يَفْعَلُ الآباءُ؟

ـ أَبوكَ مُقاتِلٌ باسِلٌ في المُقاوَمَةِ الوَطَنيَّةِ، يَتَرَصَّدُ الفُرَصَ لِلإِيقاعِ بِالعَدُوِّ الغاشِمِ.

ـ وَأُمِّي.. لِماذا تَغيبُ كَثيرًا عَنِ البَيْتِ، يا جَدِّي؟

ـ أُمُّكَ، يا «نُعْمانُ»، تُسانِدُ أَباكَ في مُهِمّاتٍ وَطَنيَّةٍ، وَتَسْعى إِلى كَسْبِ عَيْشِنا، ما اسْتَطاعَتْ إِلى ذلِكَ سَبيلًا..

في تِلْكَ اللَّيْلَةِ، ضَجَّ بِـ«نُعْمانَ» الأَرَقُ، وَلَمْ يَعُدْ يَحْتَمِلُ المُكوثَ، فَغادَرَ فِراشَهُ عَلى رُؤوسِ قَدَمَيْهِ،

بِاتِّجاهِ سَريرِ جَدِّهِ.. فَوَجَدَهُ صاحِيًا، كَما تَوَقَّعَ.. كانَ عَلى أَحَرَّ مِنَ الجَمْرِ لِيَعْرِفَ ماذا يَحْدُثُ في بَساتينِ البُرْتُقالِ المُمْتَدَّةِ عَلى طولِ السَّاحِلِ؟ ما هذِهِ الأَصْواتُ النَّاشِزَةُ المُخيفَةُ الَّتي تُمَزِّقُ سُكونَ اللَّيْلِ، وَتَحْرِمُ النَّاسَ الآمِنينَ طَعْمَ النَّوْمِ؟!

تَنَحْنَحَ الصَّغيرُ، لِيَجْمَعَ شَجاعَتَهُ، قَبْلَ أَنْ يَطْرَحَ عَلى جَدِّهِ السُّؤالَ الَّذي ما فَتِئَ، مُنْذُ ساعَتَيْنِ، يَقْرَعُ رَأْسَهُ:

ـ ما دُمْتَ صاحِيًا، يا جَدِّي، بِرَبِّكَ قُلْ لي، ما هذِهِ الأَصْواتُ المُزْعِجَةُ الَّتي تَتَعالى مِنْ بَساتينِ البُرْتُقالِ وَاللَّيْمونِ؟..

وَأَجابَهُ العَجوزُ بِصَوْتٍ مُنْفَعِلٍ:

ـ إِنَّها جَرَّافاتُ العَدوِّ الجانِيَةُ، تَنْقَضُّ عَلى جُذوعِ الشَّجَرِ، فَتَتَهالَكُ، مَعَ ثِمارِها، عَلى التُّرابِ الأَسْمَرِ..



وَقاطَعَهُ «نُعْمانُ» بِالسُّؤالِ:

ـ أَشْجارُ بَساتينِنا العالِيَةُ الخَضْراءُ، الَّتي نُحيطُها بِأَفْضَلِ العِنايَةِ، لِماذا يَقْضُونَ عَلى مَواسِمِها السَّخيَّةِ، وَيَحْرِمونَنا مِنْ فَيْضِ خَيْراتِها؟

ـ سُؤالٌ عسيرٌ، يا بُنَيّ. هُمْ يَدَّعونَ، بِأَنَّ وَراءَ عَمَلِهِمْ أَسْبابًا وَجيهَةً، أَمّا أَنا، وَمِنْ خِلالِ ما أَعْرِفُهُ عَنْ طَبائِعِهِمْ، لا أَرى سَبَبًا وَجيهًا سِوى إِلْحاقِ الضَّرَرِ بِنا.. وَصاحَ الصَّبِيُّ بِتَوَتُّرٍ شَديدٍ:

ـ وَلِماذا لا نَمْنَعُهُمْ يا جَدِّي؟!

ـ لِأَنَّنا أَضْعَفُ مِنْهُم.. الآنَ، يا صَغيري.. لكِنَّنا، لَنْ نَظَلَّ كَذلِكَ، بَلْ سَيَأْتي يَوْمٌ، وَنَقْوى عَلَيْهِم.. فَيُكَلَّلُ نِضالُنا بِالنَّصْرِ، وَنَطْرُدُهُمْ مِنْ أَرْضِنا الطَّاهِرَةِ، مَرَّةً وَإِلى الأَبَدِ! ..

يا اللهُ! كَيْفَ الْتَمَعَتْ عَيْنا «نُعْمان» السَّوْداوانِ، فَرْطَ الحَماسَةِ، وَكَيْفَ انْتَفَضَ لِهَوْلِ ما سَمِعَ!!

وَصارَ قَلْبُهُ يَدُقُّ صَدْرَهُ بِعُنْفٍ، مُتَجاوِبًا مَعَ قَرْعِ رَأْسِهِ المُوْجِعِ وَهيَ مَتاعِبُ ثَقيلَةٌ جِدًّا عَلى «نُعْمان»، وَلا يَعْرِفُ كَيْفَ يُزَحْزِحُها عَنِ كَتِفَيْهِ.. لِذا، رَكَّزَ اهْتِمامَهُ الآنَ، عَلى بُسْتانِ البُرْتُقالِ الَّذي طالَما سَمِعَ حِكايَتَهُ المُمْتِعَةَ الَّتي لا يَشْبَعُ مِنْها:

ـ الأَشْجارُ الكَبيرَةُ المُعَمِّرَةُ زَرَعَها جَدُّهُ، بَعْدَ زَواجِ أَبيهِ، وَمُعْظَمُ الباقي زَرَعَهُ «أَبو نُعْمانَ» عَلى مَراحِلَ، وَفي مُناسَباتٍ سَعيدَة..

وَكانَ يَرْعى البُسْتانَ، وَيَتَعَهَّدُ أَشْجارَهُ بِحُبٍّ خالِصٍ، حَتّى نَمَتْ وَكَبِرَتْ.. وَتَعالَتْ.. وَأَعْطَتْ أَجْوَدَ المَواسِمِ، الَّتي كانَتْ في أَيّامِ الخَيْرِ، تُصَدَّرُ إِلى المُدُنِ وَتُؤَمِّنُ العَيْشَ الكَريمَ لِلْعائِلَة.. يَوْمَها، لَمْ تَكُنْ «أُمُّ نُعْمان» تُغادِرُ بَيْتَها لِتَشْتَغِلَ وَتُعيلَ أُسْرَتَها، عِوَضًا عَنْ زَوْجِها المُقاتِلِ! وَهيَ عَمَليّاتٌ حِسابِيَّةٌ أَطْبَقَتْ عَلى أَنْفاسِ الصَّبِيِّ، فَعادَ يَسْأَلُها وَيُلِحُّ:

ـ وَكَيْفَ سَنَعيشُ بِدونِ بُسْتانِ البُرْتُقالِ، يا جَدّي؟

وَطَمْأَنَهُ العَجوزُ، بِرَباطَةِ جَأْشٍ، وَبِإيمانٍ وَحيدٍ هوَ مَرْجِعُ كُلِّ مواطِنٍ طَيِّب:

ـ اَللهُ كَرَمٌ، يا «نُعْمانُ»، وَمَنْ آمَنَ بِهِ وَعَمِلَ وَجَدَّ، فَإِنَّهُ حَتْمًا، يُمْنى بِالفَرَج..

وَكَأَنَّ كَلامَ العَجوزِ، بَعَثَ في الصَّبِيِّ نَسْمَةً مِنَ الطُّمَأْنينَةِ، فَعادَ يَسْتَكْمِلُ القَوْلَ:

ـ أَجَلْ! اللهُ كَريمٌ، وَهوَ بِالتَّأْكيدِ، لَنْ يَتْرُكَنا نَموتُ.. وَإِذا اسْتَحالَ عَلَيْنا الآنَ، إِعادَةُ زَرْعِ البُسْتانِ بِالأَشْجارِ المُثْمِرَةِ الخَضْراءِ.. فَغَدًا نَكْبُرُ، يا جَدّي، أَنا وَأَخَوايَ، وَنَزْرَعُ بُسْتانًا.. وَبَساتينَ.. وَلَنْ نَدَعَ حَبَّةَ تُرابٍ مِنْ أَرْضِنا بورًا يَباسًا..

.. راحَ العَجوزُ يُرَبِّتُ عَلى كَتِفِ حَفيدِهِ، وَبَقِيَ لَحْظَةً صامِتًا، مَخافَةَ أَنْ يَفْضَحَهُ صَوْتُهُ المُرْتَعِش..

وَبَعْدَ أَنْ مَسَحَ دُموعَهُ الخَرْساءَ بِطَرَفِ كُمِّهِ، قالَ لِـ«نُعْمانَ»:

ـ بِالتَّأْكيدِ، يا حَبيبي، غَدًا تَكْبَرونَ، أَنْتَ وَأَخَواكَ، بِإِذْنِ اللهِ، وَتَسْتَأْنِفونَ مَسيرَةَ النِّضالِ الَّتي بَدَأْتُها أَنا. ثُمَّ أَبوكَ.. وَتُعيدونَ زَرْعَ البَساتينِ الَّتي خَرَّبَها المُحْتَلُّ الآثِمُ وَبِناءَ البُيوتِ الَّتي هَدَّمَها..

.. وَامْتَدَّتْ ذِراعُ العَجوزِ إِلى كَتِفَيْ حَفيدِهِ تُطَوِّقُهُما بِحَنانٍ:

ـ عُدْ إِلى فِراشِكَ الآنَ، يا «نُعْمانُ»، فَالجَرّافاتُ تَوَقَّفَتْ.. وَسُكونُ اللَّيْلِ سَيُساعِدُكَ عَلى النَّوْمِ.

تَحامَلَ الصَّبِيُّ عَلى نَفْسِهِ، وَهُوَ يَهُمُّ بِإِطاعَةِ جَدِّهِ.. وَيُداري هَواجِسَهُ، الَّتي ما لَبِثَتْ أَنْ تَحَوَّلَتْ، رُوَيْدًا رُوَيْدًا، إِلى أَحْلامٍ وَرْدِيَّةٍ بَعيدَةٍ.. بَعيدَةٍ.. هَدْهَدَتْهُ مَعَ ساعاتِ الفَجْرِ.. فَغَرِقَ في نَوْمٍ عَميقٍ،

لَمْ يَسْتَفِقْ مِنْهُ، إِلَّا عِنْدَما لَسَعَتْ شَمْسُ الضُّحى وَجْهَهُ.. وَكانَ أَخَواهُ «رَبيعٌ» وَ«فادي» يَقْفِزانِ فَوْقَهُ بِجَذَلٍ، وَهُما أَشَدُّ ما يَكونانِ دَهْشَةً لِاسْتِغْراقِهِ في النَّوْمِ، حَتّى تِلْكَ السّاعَةِ المُتَأَخِّرَةِ..

وَعِنْدَما اسْتَعادَ «نُعْمانُ» كامِلَ وَعْيِهِ، وَحَديثَهُ اللَّيْلِيَّ مَعَ جَدِّهِ، في ساعاتِ الأَرَقِ المُضْني.. وَانْتَهى إِلى الحُلْمِ الوَرْدِيِّ الَّذي امْتَلَكَ عَلَيْهِ حَواسَّهُ، وَأَراحَهُ مِنَ الهَواجِسِ السَّوْداءِ، وَقَرْعِ الصُّدْغَيْنِ، وَالخَفَقانِ المُوجِعِ في صَدْرِهِ.. وَمِنْ فَرْطِ انْسِجامِهِ مَعَ الحُلْمِ الواعِدِ، خاطَبَ أَخَوَيْهِ بِصَوْتٍ أَجَشَّ مَشْحونٍ بِالحَماسَةِ:

ـ أَجَلْ! غَدًا نَكْبَرُ.. وَنَكْبَرُ.. وَنُعيدُ زَرْعَ أَرْضِنا بِالبُرْتُقالِ وَاللَّيْمونِ وَالمَوْزِ، وَنَتَمَتَّعُ بِثِمارِها الشَّهِيَّةِ..

أَمّا الصَّغيرانِ فَكانا يَتَساءَلانِ عَمّا قَصَدَهُ «نُعْمانُ» بِهَذا الكَلامِ الغامِضِ الَّذي لَمْ يَفْهَما مِنْهُ شَيْئًا؟ .. وَقَرَّرا أَخيرًا، بِأَنَّهُ، لا رَيْبَ، يَحْكي في نَوْمِهِ!!

لَمْ يَعُدْ يَخْتَبِئُ تَحْتَ السَّرير!

كانَ «وائِل» مُرْهَفَ الإِحْساسِ، يَنْفَعِلُ لِأَقَلِّ إِزْعاجٍ، لِذا كانَ يَميلُ إِلى الانْطِواءِ عَلى نَفْسِهِ، ويَشْعُرُ أَنَّهُ الأَضْعَفُ بَيْنَ إِخْوَتِهِ الخَمْسَة.. رُبَّما بِوَصْفِهِ صَغيرَهُمْ أَيْضًا..

وَالاهْتِمامُ الخاصُّ الَّذي يُفْتَرَضُ أَنْ يَلْقاهُ الطِّفْلُ مِنْ أُمِّهِ وَأَبيهِ، افْتَقَدَهُ «وائِل»، لِانْشِغالِ أَبَوَيْهِ بِتَأْمينِ مَعيشَةِ الأُسْرَةِ الكَبيرَةِ وَتَصْريفِ خِدْماتِها، مِمَّا جَعَلَ الصَّغيرُ يَتَحَوَّلُ، تِلْقائِيًّا، إِلى أَخيهِ الأَكْبَرِ «عِصام»،

الَّذي عوَّض عَلَيْهِ بَعْضَ الشَّيْءِ، عَمَّا كانَ في أَمَسِّ
الحاجَةِ إِلَيْه، عَطْفًا وَحنانًا.

لَمْ يَكُنْ لِـ«عِصام»، وَهوَ في مَرْحَلَةِ الدِّراسَةِ
الثَّانوِيَّةِ، الوَقْتُ الكافي لِلاهْتِمامِ بـ«وائل»، وَلِمَنْحِهِ
كُلَّ الرِّعايَةِ الَّتي يَحْتاجُ إِلَيْها. لِذا كانَ ابْنُ الخَمْسِ
سِنين، عِنْدَما تَتراكَمُ عَلَيْهِ المَشاكِلُ وَالهُمومُ،
وَيُطارِدُهُ الشُّعورُ المُوجِعُ بِأَنَّهُ بائِسٌ أَوْ مَهْضومُ
الحُقوقِ، يُسْرِعُ إِلى غُرْفَتِهِ، يُغْلِقُ بابَها، وَيَخْتَبِئُ
تَحْتَ سَريرِهِ.. وَفي مَخْبَإِهِ الضَّيِّقِ كانَ يَبْتَعِدُ عَنِ
المُضايَقاتِ العائِلِيَّةِ وَالاجْتِماعِيَّةِ، وَيَغْمُرُهُ شَيْءٌ مِنَ
الأَمانِ لِبَعْضِ الوَقْتِ، لا سِيَّما وَإِنَّ مَخْبَأَهُ هذا كانَ
المَكانَ المُناسِبَ لِلتَّأَمُّلِ وَالتَّفْكيرِ، وَلِاسْتِجْماعِ قِواهِ
المُضَعْضَعَةِ، وَالحُصولِ عَلى بَعْضِ الهُدوءِ وَالسَّلام.

عِنْدَما كَبِرَ «وائل»، بِضْعَ سِنين، صارَ يَتَحاشى
الاخْتِباءَ تَحْتَ السَّريرِ، مَخافَةَ أَنْ يَكْتَشِفَ أَحَدُ إِخْوَتِهِ

هذا الأَمْرَ، فَيَهْزَأُ بِهِ. لكِنَّهُ، بَيْنَ الحينِ وَالحينِ، ظَلَّ
يَشْعُرُ بِالحاجَةِ إِلى الانْفِرادِ وَحْدَهُ، وَالهَرَبِ إِلى
العَراءِ، تَحْتَ ضُغوطِ الحَياةِ اليَوميَّةِ الَّتي تُزْعِجُهُ
وَتَقُضُّ مَضْجَعَهُ.. وَأَيْضًا، ظَلَّ لِأَخيهِ «عِصام»،
المَقامُ المَرْمُوقُ في قَلْبِهِ لِأَنَّهُ المَلاذُ الأَخيرُ الَّذي
يَؤوبُ إِلَيْهِ.

ذاتَ يَوْمٍ، وَقَدْ بَلَغَ «وائل» الثَّانيةَ عَشْرَةَ، الْتَقى
أَخاهُ الأَكْبَرَ وَهوَ عائِدٌ مِنَ الجامِعَةِ. نَظَرَ «عِصام» إِلى
أَخيهِ الصَّغيرِ، فَإِذا عَلى مُحَيَّاهُ مَلامِحُ القَلَقِ وَالضِّيقِ.
اسْتَوْقَفَهُ بُرْهَةً، وَدارَ بَيْنَهُما الحِوارُ التَّالي:

ـ ما الأَمْرُ يا «وائِل»، وَأَنْتَ مُنْذُ أَشْهُرٍ لَمْ
تَقْصِدْني عَلى سَبيلِ الاسْتِشارَةِ في مُشْكِلَةٍ يَصْعُبُ
عَلَيْكَ حَلُّها. أَتُراكَ أَصْبَحْتَ مُسْتَغْنِيًا عَنْ خِدْماتي؟!

ـ عَلى العَكْسِ يا أَخي، غَيْرَ أَنَّني كُلَّما بَحَثْتُ
عَنْكَ وَجَدْتُكَ مُنْصَرِفًا إِلى الدَّرْسِ أَوِ الكِتابَةِ..



ـ هذا صَحيحٌ أَيْضًا، لكِنَّني دائِمًا أَجِدُ الوَقْتَ لِلْجُلوسِ إِلَيْكَ، وَهِيَ مُتْعَةٌ أَكْثَرُ مِنْها واجِبًا أَخَوِيًّا.. هَيَّا الآنَ، ما دُمْنا بَعيدَيْنِ عَنِ الجَميعِ.. أَنْتَ تَكَلَّمْ، وَأَنا أُصْغي..

مَرَّتْ دَقائِقُ وَ«وائِل» مُسْتَغْرِقٌ في صَمْتِهِ، لا يَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ يَبْدَأُ.. فَهوَ، مُنْذُ أَسابيع، يُعاني مِنَ الضِّيقِ النَّفْسِيِّ المُطْبِقِ عَلى صَدْرِهِ، وَلا يَجِدُ سَبيلًا إِلى التَّخَلُّصِ مِنْهُ، بِغَيْرِ الهَرَبِ إِلى الجنائِنِ، أَوْ حَتّى الاخْتِباءِ تَحْتَ السَّريرِ.. لِيَعودَ، مُجَدَّدًا، إِلى حالَةٍ مِنَ الضِّيقِ أَشَدَّ..

وَكَأَنَّ أَخاهُ الكَبيرُ قَرَأَ أَفْكارَهُ، فَبادَرَ إِلى السُّؤال:

ـ أَتُراكَ خائِفًا مِنْ مُواجَهَةِ المَشاكِلِ الَّتي تَعْتَرِضُكَ في البَيْتِ وَفي المَدْرَسَةِ، مِنِ احْتِكاكٍ بِإِخْوَتِكَ وَزُمَلائِكَ؟

ـ أَجَلْ! وَأَكْثَرُ مِنْ ذلِكَ، أجابَ «وائِل». وَمِنْ فَرْطِ التَّأَثُّرِ أَجْهَشَ بِالبُكاءِ.

ـ هذِهِ أُمورٌ طَبيعيَّةٌ في حَياةِ كُلِّ إنْسانٍ، طَمْأَنَهُ «عِصام».. وَالتَّجارِبُ الَّتي تُصادِفُنا كُلَّ يَوْمٍ، مِنْ شَأْنِها أَنْ تَزيدَ إيمانَنا وَتَمْنَحَنا الشَّجاعَةَ وَالثِّقَةَ بِالنَّفْسِ ـ أَمَّا إذا هَرَبْنا مِنْها، وَلَمْ نَتَصَدَّ لَها، كَما يَجِبُ، فَإِنَّنا نَظَلُّ نَتَخَبَّطُ في ظُلْمَةِ مَخاوِفِنا وَقَلَقِنا، كَما يَحْصُلُ مَعَكَ الآنَ، يا «وائِل».

ـ عَلِّمْني يا أَخي، كَيْفَ أَتَصَدّى لَها، دُلَّني عَلى الطَّريقِ، قالَ «وائِل» بِلَهْجَةِ المُتَوَسِّل.

ـ الطَّريقُ مَفْتوحَةٌ أَمامَكَ.. وَما عَلَيْكَ سِوى السَّيْرِ فيها.. إنَّ عَطايا اللهِ العُظْمى، تَأْتينا عَنْ طَريقِ المُعاناةِ.. وَالتَّجارِبُ القاسِيَةُ في أَوَّلِ العُمْرِ، هي أَفْضَلُ وَسيلَةٍ لِشَدِّ أَزْرِنا، وَلِتَقْوِيَةِ مَناعَتِنا لِلتَّغَلُّبِ عَلى المَصاعِبِ الَّتي تَعْتَرِضُنا وَنَحْنُ صِغارٌ، فَيُخَيَّلُ

إِلَيْنا أَنَّها نِهايَةُ العالَمِ.. في حينِ أَنَّها لَيْسَتْ سِوى «مَحَطَّةٍ» عَلى مِشْوارِ الحَياةِ الطَّويل..

كانَ «وائِل» يُصْغي إِلى أَخيهِ، لا بِأُذُنَيْهِ وَحَسْبُ، بَلْ بِكُلِّ حَواسِّهِ، وَكَأَنَّ عَيْنَيْهِ المُعَبِّرَتَيْنِ، تَطْلُبانِ المَزيدَ مِنْ هذِهِ العِظَةِ الحَميمَةِ.

زَفَرَ «عِصام» مِنْ أَعْماقِ صَدْرِهِ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْنِفَ كَلامَهُ، وَقالَ وَهوَ مُمْعِنٌ في تَفْكيرِهِ:

ـ اِسْمَعْ يا «وائِلُ»، يَسْتَوْقِفُني دائِمًا قَوْلٌ صينيٌّ مأْثورٌ ما مَعْناهُ:

«حَبَّذا لَوْ كانَتْ لَنا الرَّصانَةُ وَالهُدوءُ لِنَقْبَلَ الأَشْياءَ الَّتي لا طاقَةَ لَنا عَلى تَغْييرِها، وَالشَّجاعَةُ لِتَغْييرِ ما نَسْتَطيعُ تَغْييرَهُ، وَالحِكْمَةُ لِلتَّمْييزِ بَيْنَ الحالَيْنِ».

كانَ «عِصام» يُرَدِّدُ الحِكْمَةَ المَأْثورَةَ، كَلِمَةً كَلِمَةً، ثُمَّ أَعادَها ثانِيَةً، فيما راحَ «وائِل» يُرَدِّدُها مِنْ وَرائِهِ.. وَلِفَرْطِ إِعْجابِهِ بِمَغْزاها العَمَليِّ، أَخْرَجَ

مِنْ جَيْبِهِ وَرَقَةً وَقَلَمًا، وَسَجَّلَها.. وَلِلْحالِ، تَغَيَّرَتْ مَلامِحُ وَجْهِهِ، وَزالَ التَّوَتُّرُ الَّذي عَقَدَ حاجِبَيْهِ، لِيَحُلَّ مَحَلَّهُ الانْفِراجُ ، الَّذي بِدَوْرِهِ انْتَهى إِلى بَسْمَةٍ حُلْوَةٍ تَوَّجَتِ الشَّفَتَيْنِ، وَاسْتَقَرَّتْ في عَيْنَيْهِ السَّوْداوَيْنِ..

مَرَّتْ دَقائِقُ، وَهوَ عَلى هذِهِ الحالِ، عَيْناهُ الجَذِلَتانِ مُسَمَّرَتانِ إِلى الوَرَقَةِ، تَلْتَهِمانِ سُطورَها، لِتَسْتَوْعِبا المَعْنى العَميقَ الَّذي تَضَمَّنَتْهُ، وَالَّذي كانَ لَهُ بِمَثابَةِ «الدَّواءِ الشّافي» لِأَزْمَةٍ نَفْسِيَّةٍ تَوَهَّمَ أَنَّ عِلاجَها عَسيرٌ جِدًّا.

وَاعْتَبَرَ «وائِل» «الدَّواءَ الشّافي» بَيْنَ يَدَيْهِ، إِنْذارًا لِلْعَوْدَةِ إِلى اللهِ، وَإِلْقاءِ هُمومِنا في حِضْنِهِ، لِأَنَّهُ مَلْجَأُنا الأَخيرُ، وَمِنْهُ وَحْدَهُ نَسْتَمِدُّ القُوَّةَ وَالشَّجاعَةَ وَالحِكْمَةَ لِمُواجَهَةِ الحَياةِ، بِهُمومِها وَمَتاعِبِها..

رَفَعَ «وائِل» رَأْسَهُ بِعُنْفوانٍ، وَخاطَبَ أَخاهُ بِالفَمِ المَلآن:

ـ شُكْرًا يا «عِصامُ».. شُكْرًا يا أَخي..

وَسَأُبادِرُ في الحالِ، إِلى كِتابَةِ صَلاةِ «اليوغا» بِخَطٍّ جَميلٍ، ثُمَّ أُبَرْوِزُها وَأُعَلِّقُها فَوْقَ مَكْتَبي لِأَعْمَلَ بِوَصاياها، ما اسْتَطَعْتُ إِلى ذلِكَ سَبيلًا..

وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ أَضافَ:

ـ وَلَنْ أَخْتَبِئَ تَحْتَ السَّريرِ بَعْدَ اليَوْمِ، أَوْ أَهْرُبَ مِنْ هُمومي وَمَشاكِلي..

حَتّى إِلى الجَنائِنِ المُتَلَأْلِئَةِ بِالأَزْهارِ!

إِنْشاء أَمْ قَصيدَة؟

.. إِنَّها جالِسَةٌ هٰهُنا، تَحْتَ شَجَرَةِ التِّينِ العارِيَةِ، تُديرُ بَصَرُها بِذُهولٍ، عَلى مَرامي الطَّبيعَةِ الهاجِعَةِ حَوْلَها، لِيَسْتَقِرَّ عَلى البَحْرِ الفَيْروزِيِّ البَعيدِ.. لَقَدْ قَصَدَتْ هٰذِهِ الزَّاوِيَةَ الحائِدَةَ مِنَ الحَديقَةِ، لِتَسْتَجْمِعَ أَفْكارَها، وَتَكْتُبَ مَوْضوعَ الإِنْشاءِ لِلْغَدِ، عَنْ أَحَبِّ الفُصولِ إِلَيْها!

مَرَّتْ ساعَةٌ وَ«رُوَيْدَةُ» كَأَنَّها مَسْحورَةٌ، لَمْ تَخُطَّ حَرْفًا واحِدًا عَلى صَفْحَةِ دَفْتَرِها، رُغْمَ أَنَّها

تَعْرِفُ سَلَفًا «الفَصْلَ» الَّذي كانَتْ مُنْذُ نُعومَةِ سِنِيِّها وَحَتَّى الآنَ، تُفَضِّلُهُ عَلى سائِرِ فُصولِ السَّنَة..

وَلكِنْ، كَيْفَ لِلْمَسْحورِ بِالجَمالاتِ الوَفيرَةِ المُحيطَةِ بِهِ، أَنْ يَحْصُرَها بِكَلِماتٍ بَكْماءَ خَرْساءَ، وَمَحْدودَةِ المَعاني؟ وَمِنْ أَيْنَ عَساها تَبْدَأُ في وَصْفِ اللَّوْحاتِ الهادِئَةِ المُتَناغِمَةِ الَّتي تُمَثِّلُ فَصْلَ الخَريفِ؟

وَلِماذا فَصْلُ الخَريفِ؟ سُؤالٌ طالَما قَفَزَ إِلى رَأْسِها، فَأَلْقَتِ القَلَمَ مِنْ يَدِها، وَعَجِزَتْ عَنِ الإِجابَةِ عَلَيْهِ، أَوِ الإِحاطَةِ بِجَوانِبِهِ.. وَهذا الصَّباحُ الصّافي، هُوَ الوَقْتُ المُلائِمُ لِلْغَوْصِ في ثَنايا نَفْسِها الشَّفّافَةِ، وَلَمْلَمَةِ الأَسْرارِ المُبَعْثَرَةِ الَّتي تَشُدُّ حِبالَ قَلْبِها الصَّغيرِ إِلى هذا الفَصْلِ المُلَفْلَفِ بِالغُموضِ.. وَبِالكَآبَةِ، رُبَّما!

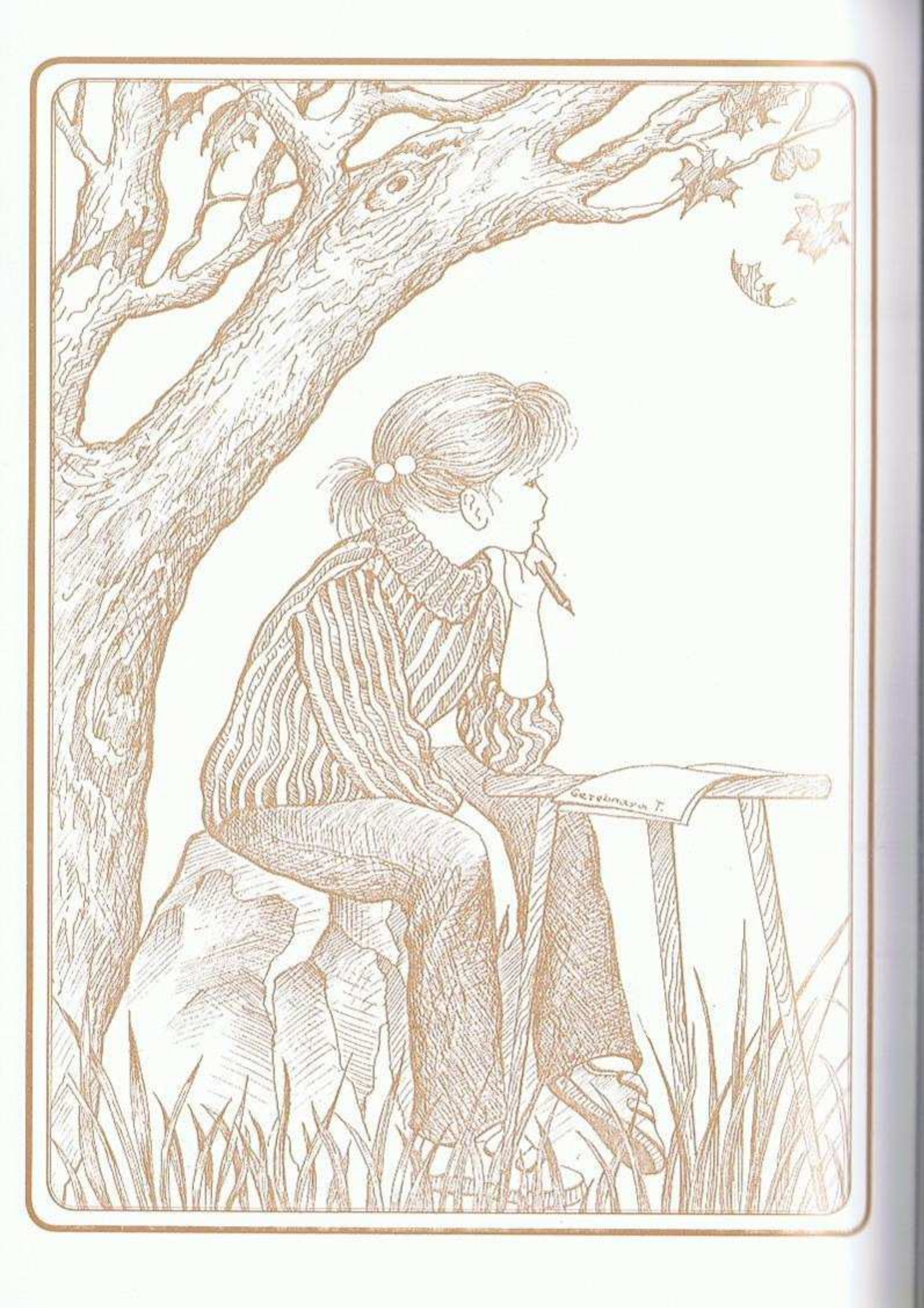
أَسْنَدَتْ «رُوَيْدَةُ» ظَهْرَها إِلى جِذْعِ التّينَةِ تُفَكِّرُ، مُجْتَهِدَةً في اقْتِناصِ بَعْضِ الصُّوَرِ الشِّعْرِيَّةِ الَّتي تَموجُ

في ظاهِرِها، كُلَّما أَقْبَلَ الخَريفُ، يَتَهادى بِجَلالِهِ.. وَبِهُزالِهِ في آنٍ! ثُمَّ أَمْسَكَتْ قَلَمَها، وَكَتَبَتْ في أَعْلى الصَّفْحَة: «أَحَبُّ الفُصولِ إِلَيَّ، الخَريفُ».

ـ لِماذا تُفَضِّلينَ الخَريفَ؟ جاءَها السُّؤالُ الصّارِخُ مِنَ الخَلْفِ، فَأَجْفَلَها! وَإِذا أُخْتُها الصُّغْرى «سِهامُ» تَتَلَصْلَصُ عَلَيْها، مُنْذُ بَعْضِ الوَقْتِ، لِتَقِفَ عَلى سَبَبِ انْزِوائِها في الحَديقَةِ، بَعيدًا عَنِ الأَنْظار..

عَبَثًا حاوَلَتْ «رُوَيْدَةُ» إِقْناعَ أُخْتِها في العَوْدَةِ إِلى البَيْتِ، وَتَرْكِها تُعالِجُ المَوْضوعَ.. لكِنَّ «سِهامَ» أَصَرَّتْ عَلى البَقاءِ حَيْثُ هِيَ وَمُناقَشَةِ أُخْتِها في أَمْرٍ لا تَتَّفِقُ مَعَها فيهِ. قالَتْ «رُوَيْدَةُ»:

ـ أَجَلْ. أَنا بِكُلِّ تَأْكيدٍ، أُفَضِّلُ فَصْلَ الخَريفِ.. وَأَيَّ فَصْلٍ أَنْتِ تُفَضِّلينَ؟



ـ أنا طَبْعًا، أُفَضِّلُ الرَّبيعَ! وَحَتَّى الشِّتاءُ بِبَرْدِهِ وَعَواصِفِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الخريفِ. ضَحِكَتْ «رُوَيْدَةُ» وَقالَتْ:

ـ لا أَسْتَغْرِبُ ما تَقولينَ، لِأَنَّكِ تُشْبِهينَ الرَّبيعَ، بَلْ أَنْتِ نُسْخَةٌ عَنْهُ، بِحَيَوِيَّتِكِ الفَوَّارَةِ.. وَبِصَخْبِكِ الدَّائِمِ!

ـ وَهَلْ مَعْنى ذلِكَ أَنَّكِ تُشْبِهينَ الخَريفَ، سَأَلَتْ «سِهامُ»؟

ـ رُبَّما.. أَجابَتْ «رُوَيْدَةُ» بِتَأَمُّلٍ، رُبَّما أُشْبِهُ الخَريفَ بِهُدوئي وَبِسُهومي الدَّائِمِ، كَما تَقولُ أُمُّنا.. وَلا يَخْفاكِ، أَنَّني أَشْعُرُ بِانْسِجامٍ مَعَ الطَّبيعَةِ، في هذا الفَصْلِ، وَيَغْمُرُني ارْتياحٌ لا أَعْرِفُ كُنْهَهُ!

ـ أَمَّا أَنا، يا «رُوَيْدَةُ»، فَعَلى العَكْسِ! أَشْعُرُ أَنَّ الخَريفَ يَقْبِضُ عَلى صَدْرِي وَكَأَنَّهُ يَخْنُقُني! وَالرَّبيعُ وَحْدَهُ يُدَغْدِغُ حَواسِّي وَيَمْلأُ كِياني بِالفَرَحِ..

وَخَريفُكِ، أَراهُ.. كَئيبًا وَحَزينًا!

ـ «غامِضًا» هُوَ الوَصْفُ، لا «حَزينًا»، سارَعَتْ «رُوَيْدَةُ» إلى التَّصْحيحِ، لِأَنَّ الخَريفَ يَلُفُّهُ الغُموضُ، وَكُلُّ طاقاتِهِ مُخَبَّأَةٌ تَحْتَ الأَرْضِ، تَحْبَلُ عَلى مَهْلٍ بِالخَيْراتِ الوَفيرَةِ الآتِيَةِ، لاحِقًا مَعَ الرَّبيعِ..

ـ تَعْتَرِفينَ إِذًا، بِأَنَّ «رَبيعي» أَسْخى وَأَجْمَلُ مِنْ «خَريفِكِ»؟ اسْتَدْرَكَتْ «سِهامُ».

ـ قَدْ يَكونُ هذا صَحيحًا. وَلكِنَّ الصَّحيحَ أَيْضًا هوَ أَنَّ هذا لَيْسَ مَوْضوعَنا، أَجابَتْ «رُوَيْدَةُ»..

وَما حيلَتي إذا كُنْتُ أُفَضِّلُ الخَريفَ، بِأَلْوانِهِ الهادِئَةِ القاتِمَةِ؟ رُبَّما كانَتْ طَبيعَتي وَمِزاجي هُما اللَّذَيْنِ يَفْرِضانِ عَلَيَّ هذا الاخْتيارِ؟

ـ رُبَّما، أَضافَتْ «سِهامُ»، وَهذا يُفَسِّرُ انْتِقادَكِ الأَلْوانَ البُنِّيَّةَ، وَالحِنْطِيَّةَ، وَالعَسَلِيَّةَ بِلَوْنِ شَعْرِكِ وَعَيْنَيْكِ!!

ـ كَفى كَفى! هَتَفَتْ «رُوَيْدَةُ» بِأُخْتِها، لَقَدْ أَوْحَيْتِ إِلَيَّ بِالكِفايَةِ مِنَ الخَواطِرِ الحُلْوَةِ المُشَتَّتَةِ، الَّتي ما فَتِئَتْ تَتَراقَصُ في مُخَيِّلَتي، دونَ التَّمَكُّنِ مِنَ القَبْضِ عَلَيْها، وَوَضْعِها في إِطارِها المُنَسَّقِ الكامِلِ.. أَمّا الآنَ، فَقَدْ بَدَأَتِ الصُّوَرُ المُتَباعِدَةُ تَجْذِبُ بَعْضُها البَعْضَ، لِتَتَلاقى، وَتَلْتَحِمَ في عِناقٍ رائِعٍ فَاتْرُكيني وَإِيّاها وَحْدَنا، رَجَوْتُكِ يا أُخْتي!

أَدْرَكَتْ «سِهامُ» مِنْ لَهْجَةِ «رُوَيْدَةَ»، أَنَّ أُخْتَها، هذِهِ المَرَّةَ، جادَّةٌ، وَأَنَّهُ لَمْ يَعُدْ أَمامَها سِوى البَحْثِ عَنْ سَبيلٍ آخَرَ لِلسَّلْوى، غَيْرِ مُناقَشَتِها في مَوْضوعِ الإِنْشاءِ، وَهيَ أَبْعَدُ ما تَكونُ عَنْ أَجْوائِهِ السّاكِنَةِ، لَوْلا غِناءُ بُلْبُلٍ هَيْمان، يَتَنَقَّلُ بِحَذَرٍ، بَيْنَ أَغْصانِ شَجَرَةِ التّينِ، بَحْثًا عَنْ ثَمَرَةٍ جافَّةٍ، يَحْمِلُها إِلى زَغاليلِهِ، لَوِ اسْتَطاعَ!

.. مِثْلُ هذِهِ الصُّوَرِ وَاللَّوْحاتِ، لَمْ تَكُنْ «سِهامُ» تُلاحِظُها أَوْ تَأْبَهُ لَها، خِلافًا لِأُخْتِها الكُبْرى،

الَّتي ما بَرِحَتْ تُشَنِّفُ أُذُنَيْها بِشَغَفٍ وَاهْتِمامٍ، لِأَقَلِّ حَرَكَةٍ تَصْدُرُ عَنِ الطَّبيعَةِ المُتَرَنِّمَةِ، في أَوْجِ الصَّباحِ النَّشيطِ، ثُمَّ تُسَجِّلُ مُلاحَظاتِها كَيْفَما اتَّفَقَ:

ـ النَّسائِمُ النَّاعِمَةُ تُلاعِبُ أَوْراقَ الأَشْجارِ المُتَراكِمَةَ عَلى الأَرْضِ، فَتَتَراكَضُ هذِهِ، بَعْضُها إِثْرَ بَعْضٍ، كَأَنَّها في سِباقٍ!

ـ أَطْيَبُ العُطورِ رائِحَةُ التُّرابِ، بَعْدَ أَوَّلِ مَطَرٍ يَحْمِلُهُ الخَريفُ.. أَنْشَقُ هذِهِ الرَّائِحَةَ، مِلْءَ صَدْري، مِرارًا، وَلا أَشْبَعُ!

ـ كَيْفَ سَلِمَتْ هذِهِ النَّبْتَةُ الشَّامِخَةُ الخَضْراءُ مِنْ جَفافِ الصَّيْفِ؟

ـ كُلُّ حَواسِّي تَرْتَعِشُ مَعَ ارْتِعاشاتِ الخَريفِ.. حَتَّى أَطْرافُ خُصَلِ شَعْري الأَشْقَرِ! ..

ـ هَلْ في الكَوْنِ مُوسيقى، تَفُوقُ في تَناغُمِ حَفيفِها وَهَمْسِها، موسيقى الخَريفِ؟ وَبَحْرُنا في

الخَريفِ.. أَيُّ فَنَّانٍ ماهِرٍ مَسَحَ وَجْهَهُ بِالأَزْرَقِ النَّقِيّ؟ أَسْتَطيعُ الرُّنُوَّ إِلَيْهِ، حَتَّى آخِرِ عُمْري! ..

.. عِنْدَما أَعادَتْ رُوَيْدَةُ «قِراءَةَ» مُلاحَظاتِها المُتَلاحِقَةِ، وَفي نِيَّتِها، أَخيرًا، المُباشَرَةُ في كِتابَةِ الإِنْشاءِ، خَشِيَتْ أَنْ تَكونَ خَواطِرُها المُدَوَّنَةُ عَلى الوَرَقِ، أَقْرَبَ إِلى قَصيدَةِ شِعْرٍ، مِنْها إِلى إِنْشاءٍ!!

لَحَسَتْهُ... ثُمَّ دَفَعَتْهُ بِأَنْفِها!

ـ سَيِّدي، البَقَرَةُ «زَهْرَةُ» باشَرَتْ في وَضْعِ عِجْلِها.

ـ حَسَنًا. أَجابَ صاحِبُ المَزْرَعَةِ، وَالْتَفَتَ إِلى ابْنِهِ، وَخاطَبَهُ بِعَفْوِيَّةٍ مُصْطَنَعَة:

ـ أَلا رافَقْتَني، يا «وَليدُ»، لِنَشْهَدَ مَعًا وِلادَةَ بَقَرَتِنا «زَهْرَة»؟

ـ بِكُلِّ سُرورٍ، يا أَبي، أُحِبُّ مُرافَقَتَكَ إِلى المَزْرَعَةِ، لِرُؤْيَةِ مَشْهَدٍ جَديدٍ عَلَيَّ، كَوِلادَةِ بَقَرَة!

ـ هَيَّا، إذًا، لِنُسْرِعْ، هَتَفَ الوالِدُ، وَهوَ يَتَقَدَّمُ ابْنَهُ إلى المَزْرَعَةِ القَريبَة..

وَالواقِعُ أَنَّ هذا المَوْقِفَ لَمْ يَكُنْ فِعْلَ مُصادَفَةٍ، كَما بَدا لِـ«وَليدٍ»، بَلْ إنَّ الرَّجُلَ خَطَّطَ لَهُ، لِيُلَقِّنَ ابْنَهُ دَرْسًا.. فَالصَّبيُّ، لا إخْوَةَ لَهُ أَوْ أَخَواتٍ، عاشَ مُدَلَّلًا، لا يُلَمِّحُ بِطَلَبٍ حَتَّى يُسْتَجابَ. وَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلى صاحِبِ المَزْرَعَةِ بِالخَيْراتِ الوَفيرَةِ، وَأَغْرَقَ وَحيدَهُ في هذِهِ الخَيْرات..

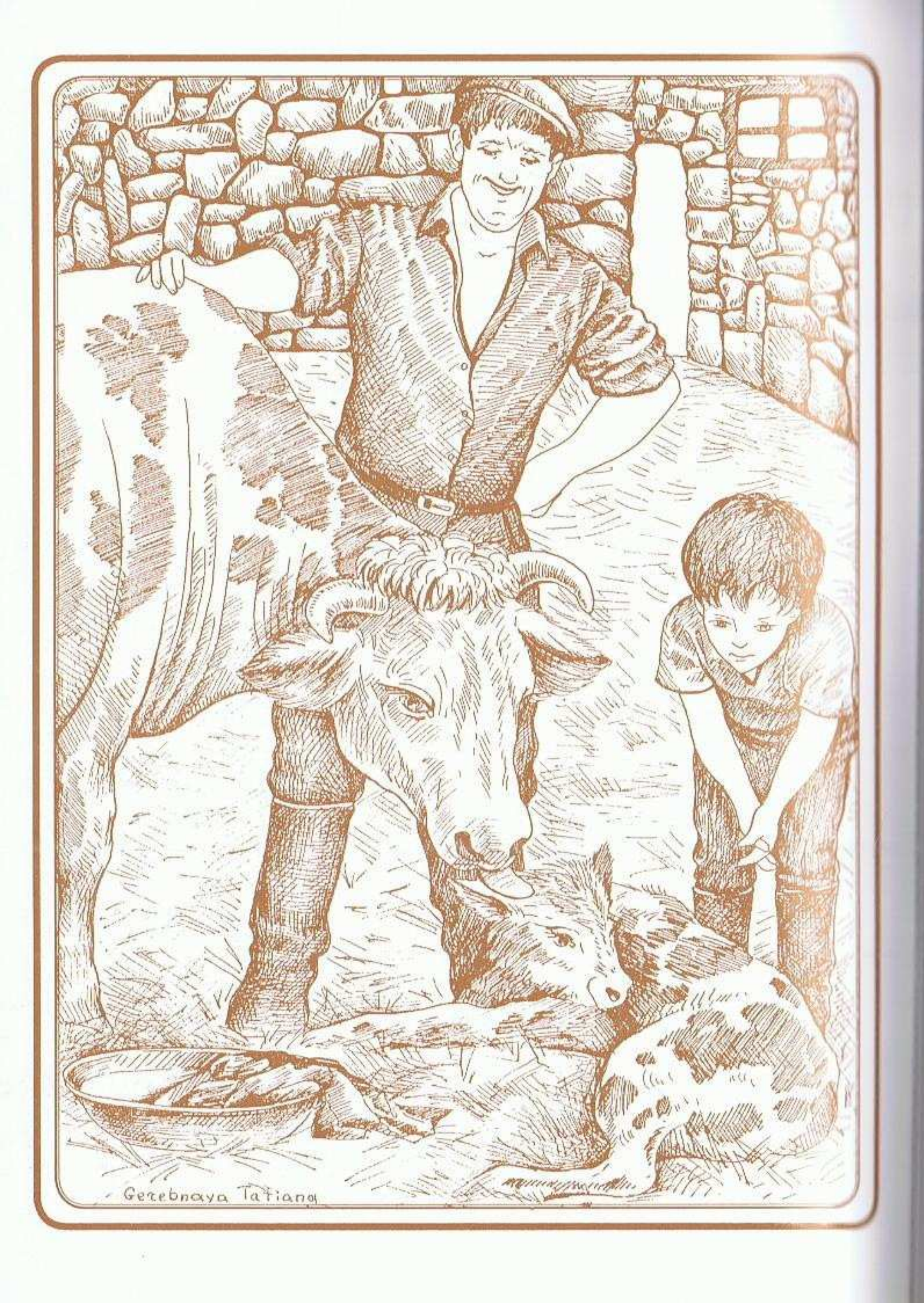
ما المُشْكِلَةُ إذًا؟

بَدَأَتِ المُشْكِلَةُ، عِنْدَما أَنْهى «وَليدٌ» صُفوفَ مَدْرَسَةِ القَرْيَةِ، وَفاتَحَهُ أَبوهُ بِضَرورَةِ الالْتِحاقِ بِمَدْرَسَةٍ داخِلِيَّةٍ في المَدينَة! جُنَّ جُنونُ «وَليدٍ»! ماذا؟ وَكَيْفَ يَبْتَعِدُ عَنِ البَيْتِ وَعَنْ كُلِّ أَسْبابِ الرَّفاهِ الَّتي تَهَيَّأَتْ لَهُ مُنْذُ كانَ طِفْلًا؟ لا. لا!

إنَّهُ يَرْفُضُ الفِكْرَةَ مِنْ أَساسِها، وَبالإِمْكانِ الاسْتِعاضَةُ عَنْها بِدُروسٍ خُصوصِيَّةٍ، مَثَلًا..

وَلَمَّا طَرَحَ الأَمْرَ عَلى إدارَةِ المَدْرَسَةِ لِلاسْتِشارَةِ وَتَبادُلِ الآراءِ، أَجْمَعَ الكُلُّ عَلى أَنَّهُ لا بَديلَ عَنِ المَدْرَسَةِ الدَّاخِلِيَّةِ في المَدينَةِ، حَيْثُ تَنْفَتِحُ أَمامَ «وَليدٍ» فُرَصٌ كَبيرَةٌ وَمُنَوَّعَةٌ، هُوَ بِأَمَسِّ الحاجَةِ إلَيْها. وَمِنْ أَهَمِّ هذِهِ الفُرَصِ اسْتِقْلالِيَّتُهُ وَاعْتِمادُهُ عَلى نَفْسِهِ.. سَيَكونُ مِنْ واجِباتِهِ، أُسْوَةً بِباقي التَّلاميذِ، تَرْتيبُ سَريرِهِ وَثِيابِهِ وَكُتُبِهِ، وَالمُشارَكَةُ في كُلِّ مَسْؤولِيَّةٍ تُواجِهُهُ وَهِيَ واجِباتٌ لَمْ يَأْلَفْها.. وَعالَمُهُ الجَديدُ في المَدينَةِ عالَمٌ مَجْهولٌ يَتَخَوَّفُ مِنْهُ، وَلا يَتَوافَقُ مَعَ اسْتِقْرارِهِ وَراحَتِهِ الكامِلَةِ في القَرْيَةِ!

لَمَّا تَعَذَّرَ عَلى الوالِدِ إقْناعُ ابْنِهِ بِصوابِيَّةِ رَأْيِهِ، عَلَّلَ الأَمَلَ في اللُّجوءِ إلى أُسْلوبٍ آخَرَ، رُبَّما أَقْنَعَ «وَليدًا» مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِهِ، بَعيدًا عَنْ تَدَخُّلِ أَحَدٍ..



وَهكَذا، أَقْفَلَ عَلى المَوْضوعِ، حَتَّى كانَ اليَوْمُ، وَجاءَ العامِلُ هَرْوَلَةً، يُنْبِئُ صاحِبَ المَزْرَعَةِ، بِأَنَّ البَقَرَةَ تُوْشِكُ أَنْ تَضَعَ عِجْلَها..

جَلَسَ «وَليدٌ» القَرْفَصاءَ يَتَرَقَّبُ المَشْهَدَ المُثيرَ، خُروجَ عِجْلٍ صَغيرٍ مِنْ رَحِمِ أُمِّهِ إِلى العالَمِ.. كانَ أَبوهُ وَالعامِلُ يُساعِدانِ «زَهْرَةَ» لِيُسَهِّلا عَلَيْها الأَمْرَ، حَتَّى انْتَهَتِ الوِلادَةُ، بِظُهورِ رَأْسِ العِجْلِ، ثُمَّ جِسْمِهِ الكامِلِ..

صاحَ «وَليدٌ» بِفَرَحٍ وَانْفِعال:

ـ كَمْ هوَ جَميلٌ هذا «العِجْلُ» يا أَبي! إِنَّهُ كَأُمِّهِ، كَسْتنائِيُّ اللَّوْنِ، وَمُرَقَّطُ الصَّدْرِ!

اِبْتَسَمَ الوالِدُ لِابْنِهِ وَهوَ يَهُزُّ رَأْسَهُ، لكِنَّهُ ظَلَّ صامِتًا، وَعَيْناهُ لا تَحيدانِ عَنِ البَقَرَةِ وَعِجْلِها، فَكَأَنَّما أَرادَ أَنْ يَسْتَحِثَّ ابْنَهُ عَلى أَنْ يَحْذُوَ حَذْوَهُ في المُراقَبَةِ الحَثيثَةِ..

كانَتْ «زَهْرَةُ» مُلْقاةً عَلى الأَرْضِ، وَعِجْلُها في أَحْضانِها.. راحَتْ أَوَّلًا تَلْحَسُهُ بِلِسانِها لِتُنَظِّفَ جِسْمَهُ مِنْ جَميعِ جَوانِبِهِ.. كانَتْ تَفْعَلُ ذلِكَ وَعَيْناها الدَّامِعتانِ تَفيضانِ حَنانًا وَرَأْفَةً وَحُبًّا..

.. وَلكِنْ، ما إِنِ انْتَهَتْ مِنْ تَنْظيفِ العِجْلِ، حَتّى هَمَّتْ بِدَفْعِهِ بِأَنْفِها.. ثُمَّ دَفَعَتْهُ بِقَساوَةٍ، وَبِدونِ تَرَدُّدٍ، فَاسْتَغْرَبَ «وَليدٌ» التَّناقُضَ في تَصَرُّفِ «زَهْرَةَ»، وَصاحَ بِاهْتِمامٍ:

ـ ماذا تُراها تَفْعَلُ، يا أَبي، أَلا تُؤْذيهِ؟..

أَجابَ الرَّجُلُ بِهُدوءٍ:

ـ لا، يا وَلَدي، إِنَّها تَحُثُّهُ عَلى الوُقوفِ.. وَهَلْ تُؤْذي أُمٌّ طِفْلَها؟

.. وَعادَ الأَبُ وَابْنُهُ إِلى الصَّمْتِ وَالمُراقَبَةِ..

وَعادَتْ «زَهْرَةُ» تَدْفَعُ عِجْلَها بِأَنْفِها، مِنْ هُنا وَمِنْ هُناكَ، لِتُحَمِّسَهُ عَلىالنُّهوضِ.. أَخيرًا حاوَلَ

الوُقوفَ فَتَعَثَّرَ، وَوَقَعَ، ضارِبًا وَجْهَهُ بِالأَرْضِ.. لكِنَّ أُمَّهُ تَجاهَلَتِ الحادِثَ، وَمَضَتْ تُساعِدُهُ وَتُشَجِّعُهُ عَلى الوُقوفِ مُجَدَّدًا، وَهوَ يُحاوِلُ وَيُحاوِلُ بِأَقْصى جُهْدِهِ، حَتّى اسْتَطاعَ أَخيرًا أَنْ يَقِفَ، وَهُوَ يَتَرَنَّحُ.. وَخَطا خُطْوَتَهُ الأُولى..

ـ لَقَدْ نَجَحَ يا أَبي! نَجَحَ العِجْلُ الصَّغيرُ في الوُقوفِ وَحْدَهُ، فَقَطْ بَعْدَ ساعَةٍ مِنْ وِلادَتِهِ!

ـ أَجَلْ يا «وَليدُ»، لَقَدْ نَجَحَ، نَتيجَةَ ما بَذَلَهُ مِنْ جُهْدٍ.. وَلَمْ يَضْعُفْ أَمامَ دَفْعِ أُمِّهِ الَّذي حَسِبْتَهُ أَنْتَ قَساوَةً!

وَبَعْدَ لَحْظَةٍ مِنَ التَّأَمُّلِ أَضافَ الأَبُ:

ـ وَلَوْ بَقِيَتِ البَقَرَةُ تَلْحَسُهُ وَتُدَلِّلُهُ، يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، لَبَقِيَ هوَ أَيْضًا يَتَنَعَّمُ بِالاتِّكالِيَّةِ وَالاسْتِرْخاءِ، وَلَما اسْتَطاعَ أَبَدًا أَنْ يَقِفَ وَحْدَهُ وَيَخْطوَ، كَما يَفْعَلُ الآنَ!

نَظَرَ الرَّجُلُ مَلِيًّا في عَيْنَيِّ ابْنِهِ الشَّاخِصَتَيْنِ إِلَيْه، وَأَيْقَنَ أَنَّ «وَليدًا» فَهِمَ الدَّرْسَ الَّذي عَلَّمَهُ إِيَّاهُ.. وَأَنَّهُ لَنْ يُعارِضَ بَعْدَ الآن فِكْرَةَ تَرْكِهِ البَيْتَ، وَالالْتِحاق بِالمَدْرَسَةِ الدّاخِلِيَّةِ في المَدينَة..

وَبَدا وَجْهُ الصَّبِيِّ يَتَهَلَّلُ بِنَشْوَةِ الانْتِصار!

سلمى الفُضوليّة!

ـ ها هِيَ «الفُضولِيَّةُ» قَدْ أَقْبَلَتْ!

هكَذا كانَ إِخْوَةُ «سَلْمى» يَسْتَقْبِلونَها كُلَّما دَخَلَتْ إِلى غُرْفَتِهِمْ، فَيَعْلو وَجْهَها الغَيْظُ، وَتَنْفَجِرُ باكِيَةً.. إِنَّها تَجْهَلُ مَعْنى هذا اللَّقَبِ الَّذي أَلْصَقوهُ بِها، لكِنَّها تَشْعُرُ، مِنْ لَهْجَتِهِمْ، أَنَّ قَصْدَهُمْ انْتِقادُها وَالتَّهَكُّمُ عَلَيْها..

وَحُجَّةُ إِخْوَتِها، أَنَّ «سَلْمى» تَخْتَلِفُ عَنْهُمْ في تَصَرُّفِها. فَهِيَ لا تَكْتَفي بِمُشاهَدَةِ المَظاهِرِ الغَريبَةِ،

وَالمُرورِ بِها، عَلى نَحوِ ما يَفْعَلُ الصِّغارُ، بَلْ تَتَوَقَّفُ عِنْدَها مَلِيًّا، تَسْتَفْهِمُ عَنْ سِرِّ تِلْكَ الظَّواهِرِ، مِمَّا يَجْعَلُها مَحطَّ تَهَكُّمِ إِخْوَتِها..

وَعلى رِمالِ الشَّاطِئِ، حَيْثُ يَتَلَهَّى الأَوْلادُ بِجَمْعِ الأَصْدافِ البَرَّاقَةِ، كَيْفَما اتَّفَقَ، تَتَمَهَّلُ «سَلْمى» لِاخْتِيارِ الأَجْمَلِ، أَوِ الأَكْثَرِ نُدْرَةً، وَتَحْمِلُهُ بِمَحَبَّةٍ إِلى أَبيها، مُسْتَفْسِرَةً عَنْ أَسْمائِها، وَعَنْ سَبَبِ تَوَهُّجِها تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ:

ـ هَلْ هذِهِ الصَّدَفَةُ ثَمينَةٌ، يا أَبي، بِقَدْرِ ما هِيَ جَميلَةٌ؟

ـ لَيْسَ كُلُّ ما يَلْمَعُ ثَمينًا، يا «سَلْمى».. كانَ الأَبُ يُجيبُها.

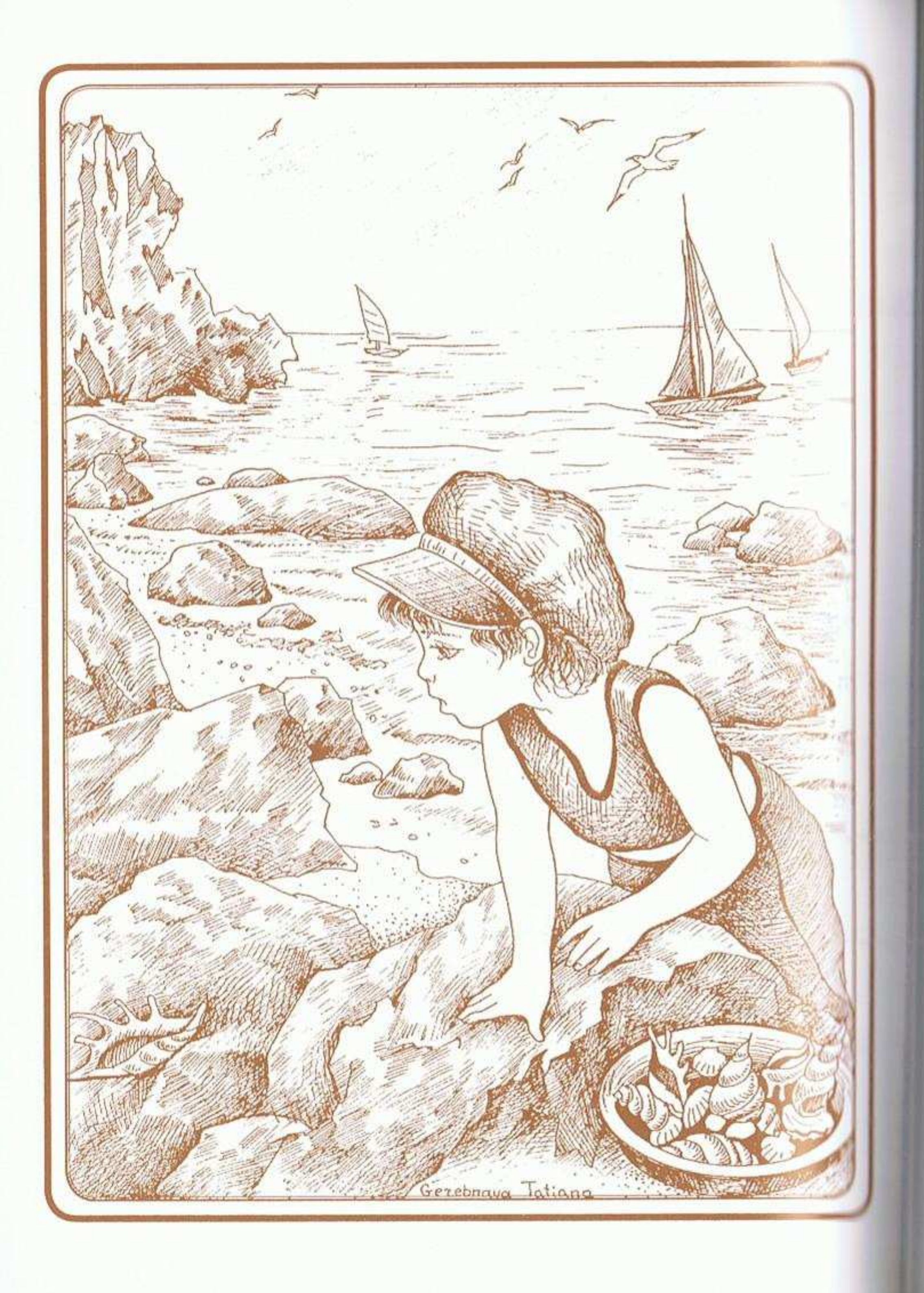
وَالحِجارَةُ الغَريبَةُ الأَشْكالِ وَالأَلْوانِ، في جِوارِ الكُهوفِ الأَثَرِيَّةِ، أَوْ عَلى الجِبالِ، كانَ إِخْوَتُها يَتبارَونَ بِقَذْفِها بَعيدًا. أَمَّا هِيَ، فَتُمْعِنُ النَّظَرَ إِلَيْها، وَتُقَلِّبُها بَيْنَ

يَدَيْها، حَتَّى إِذا خُيِّلَ إِلَيْها أَنَّها رُبَّما كانَتْ فَريدَةً، نَظَّفَتْها، وَمَسَحَتْ عَنْها الأَتْرِبَةَ، وَدَسَّتْها في جَيْبِها بِاهْتِمامٍ، لِتَعْرِضَها عَلى أَبيها.. أُمُّها لا صَبْرَ لَها، وَأَشْغالُ البَيْتِ لا تَنْتَهي، أَمَّا أَبوها، فَهُوَ دائِمًا جاهِزٌ لِلإِجابَةِ عَلى أَسْئِلَتِها، وَتَشْجيعِ فُضولِها، الَّذي هوَ بِرَأْيِهِ، دَليلٌ عَلى ذَكاءٍ..

وَطالَما كانَتْ «سَلْمى» تَتَسَلَّلُ إِلى «القَبْوِ» تَحْتَ البَيْتِ، حَيْثُ تَحْفَظُ المَؤونَةَ وَالثِّيابَ القَديمَةَ وَسِواها.. فَتَنْكُشُ الصَّناديقَ وَالرُّفوفَ، لِتَصْعَدَ إِلى أُمِّها، في عِزِّ عَجْقَةِ الغَداءِ وَتَسْأَلُها بِبَراءَةٍ:

ـ هذا المَعْطِفُ الأَحْمَرُ، لِماذا لا نُعْطيهِ لِابْنَةِ النَّاطورِ لِيَقيَها مِنَ البَرْدِ؟ وَهذا الحِذاءُ أَيْضًا جَديدٌ، وَأَظُنُّهُ يُناسِبُ قَدَمَيْها العارِيَتَيْنِ..

حِيالَ هذِهِ المُلاحَظاتِ، كانَتِ الأُمُّ تَخْجَلُ مِنِ ابْنَتِها، لِأَنَّ المُبادَرَةَ الإِنْسانِيَّةَ جاءَتْ مِنْها، رُغْمَ صِغَرِ سِنِّها، فَتَقولُ لَها وَهِيَ تُقَبِّلُها بِحَنانٍ:



ـ شُكْرًا يا حَبيبَتي لِأَنَّكِ نَبَّهْتِني إِلى أَمْرٍ هامٍّ.. في خَزائِنِنا الكَثيرُ مِنَ الثِّيابِ الَّتي ضاقَتْ عَلى أَجْسامِكُم.. وَاليَوْمَ، لا غَدًا، سَنَجْمَعُها وَنُوَزِّعُها عَلى مَنْ يَحْتاجُها، دَفْعًا لِلْبَرْدِ الَّذي هَجَمَ عَلَيْنا هذا الشِّتاءَ دُفْعَةً واحِدَةً.. هَلْ تُساعِدينَني يا «سَلْمى» بِهذِهِ المُهِمَّة؟

وَكَيْفَ كانَتْ عَيْنا الصَّغيرَةِ تَتَأَلَّقانِ بِالسَّعادَة! مِثْلُ هذِهِ الكَلِماتِ، وَبِخاصَّةٍ مِنْ أُمِّها، كانَتْ تَغْمُرُ قَلْبَها بِالفَرَحِ، وَتَنْسى مَعَهُ تَهَكُّمَ إِخْوَتِها، وَلَقَبَ «الفُضولِيَّةِ» البَغيضِ الَّذي يَنْعَتونَها بِه..

وَذاتَ يَوْمٍ، هَبَطَتْ «سَلْمى»، كَعادَتِها إِلى «القَبْوِ». وَفيما هِيَ تَبْحَثُ عَنْ دُمْيَةٍ قَديمَةٍ، وَعَدَتْ إِحْدى بَناتِ الحَيِّ بِها، وَقَعَ نَظَرُها عَلى شَيءٍ أَثارَ اهْتِمامَها، أَصيصٌ فَخّارِيٌّ تُرابُهُ يابِسٌ كَالحَجَرِ.. لكِنَّ وَرَقَةً هَزيلَةً صَفْراءَ نَمَتْ فيه!

حمَلَتْ «سَلمى» الأَصيصَ، وَهيَ مُتأكِّدَةٌ بِأَنَّ النَّبْتَةَ مَحْكومٌ علَيْها بالمَوْتِ. وَمَعَ ذلِكَ أَشْبَعَتْها بالماءِ، وَوَضَعَتْها في الشَّمْسِ عَلى نافِذَةِ المَطْبَخ.

وَحدَثَتِ المُعْجِزَة! في أَقَلِّ مِنْ أُسبوعٍ ظَهَرَ بُرْعُمٌ أَخْضَرُ قُرْبَ الوَرَقَةِ الصَّفْراءِ، فَفَرِحَتْ «سَلمى» بالوَرَقَةِ الجَديدَة.. ولكِنْ، كَمْ كانَتْ دَهْشَتُها عَظيمَةً، عِنْدَما تَبيَّنَ لَها أَنَّ البُرْعُم لَمْ يَكُنْ وَرَقَةً، بلْ زَهْرَةً على وَشْكِ التَّفَتُّحِ! وَأَصْبَحتْ زَهْرَةً حَمْراءَ، زَيَّنَتْ مائِدَةَ الطَّعامِ في أَيَّامِ الشِّتاء.

هذِهِ الحادِثَةُ بِالذَّاتِ، تَرَكَتْ أَثَرَها وَمَغْزاها العَميقَيْنِ في نَفْسِ «سَلمى»، وَجعَلَتْها تُفكِّرُ أَكْثَرَ في الأَشْخاصِ المَنسِيِّينَ.. إِنَّهُمْ تَمامًا، كَما كانَ هذا الأَصيصُ في القَبْوِ: يَتَقَوْقَعونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ، وَيَغْلِبُهُمُ الشُّعورُ المُوْجِعُ بِأَنَّهُمْ أَشياءُ مُهْمَلَة.. لكِنْ، رُبَّما بِلَمْسَةِ حَنانٍ، أَوْ زِيارَةِ تَفَقُّدٍ مُخْتَصَرَةٍ،

يَتفَتَّحونَ عَلى الحَياةِ، وَيَعودُ الفَرَحُ فَيُوَزِّعونَهُ على مَنْ حَوْلِهِم..

بَعْدَ أَنِ انْجلَتْ هذه الصُّورَةُ الصَّافيَةُ أَمامَ بَصيرَتِها، لَمْ تَعُدْ «سَلْمى» تَنْفَعِلُ وَتَبْكي مِنْ إِخْوتِها، وَمُناداتِهِمْ إِيَّاها «بِسَلْمى الفُضوليَّة»، بَلْ صارَتْ، عَلى أَعْيُنِ الجَميعِ وَتَحْتَ أَسْماعِهِمْ، تُفَتِّشُ عَنِ الأَشْخاصِ المَنْسِيِّينَ، وَخُصوصًا في صَقيعِ الشِّتاءِ وَوَحْشَتِهِ، لِتُدْفِئَهُمْ بِحَنانِهاوَلُطْفِها وَكَرَمِها المَعْنَوِيِّ وَالمادِّيِّ، وَلِتَشْهَدَ تَفَتُّحَ قُلوبِهِمْ بِالجَمالِ، تَمامًا كما تَفَتَّحَتِ الزَّهْرَةُ الحَمْراءُ في أَصيصِها المَنْسيّ..

وَأَدْرَكَتْ «سَلْمى»، أَنَّ الإِنسانَ، وَفي الشِّتاءِ، أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ فَصْلٍ آخَرَ، يَحْتاجُ إِلى الدِّفْءِ.. وَمَنْ أَجْدَرُ بِهذِهِ المَسْؤولِيَّةِ مِنْ أَخيهِ الإِنْسانِ؟!

الطَّائِرُ... وَالزَّهْرَة

كانَتْ «غادَةُ»، بِطَبيعَتِها، أَقْرَبَ إِلى التَّشاؤُمِ، مِنْها إِلى التَّفاؤُلِ، تُفَسِّرُ كُلَّ شَيْءٍ تَقَعُ عَيْنُها عَلَيْهِ، أَوْ كُلَّ ظاهِرَةٍ تُصادِفُها، عَلى طَريقَتِها الخاصَّةِ، مُنْتَهِيَةً في الغالِبِ، إِلى اتِّخاذِ مَوْقِفٍ سَلْبِيٍّ مِنْهُ.. وَقَدْ أَثارَ هذا الأَمْرُ اهْتِمامَ مُعَلِّمَتِها، الَّتي كانَتْ تُحِبُّها، وَتَسْتَشِفُّ فيها الإِحْساسَ وَالذَّكاءَ.

وَذاتَ أَصيلٍ، فيما كانَتْ «غادَةُ» عائِدَةً إِلى بَيْتِها، مَرَّتْ بِمُعَلِّمَتِها وَهِيَ تَسْقي الزَّرِيعاتِ في

الجَنَيْنَةِ، فَدَعَتْها لِتَدْخُلَ مَعَها إلى المَطْبَخِ، حَيْثُ رَفَعَتْ أَمامَ عَيْنَيْها كوبًا مَلَأَتْ نِصْفَهُ ماءً، وَسَأَلَتْها:

ـ هَلْ هذا الكوبُ فارِغٌ أَوْ مَمْلوءٌ ماءً؟

فَأَجابَتِ الفَتاةُ:

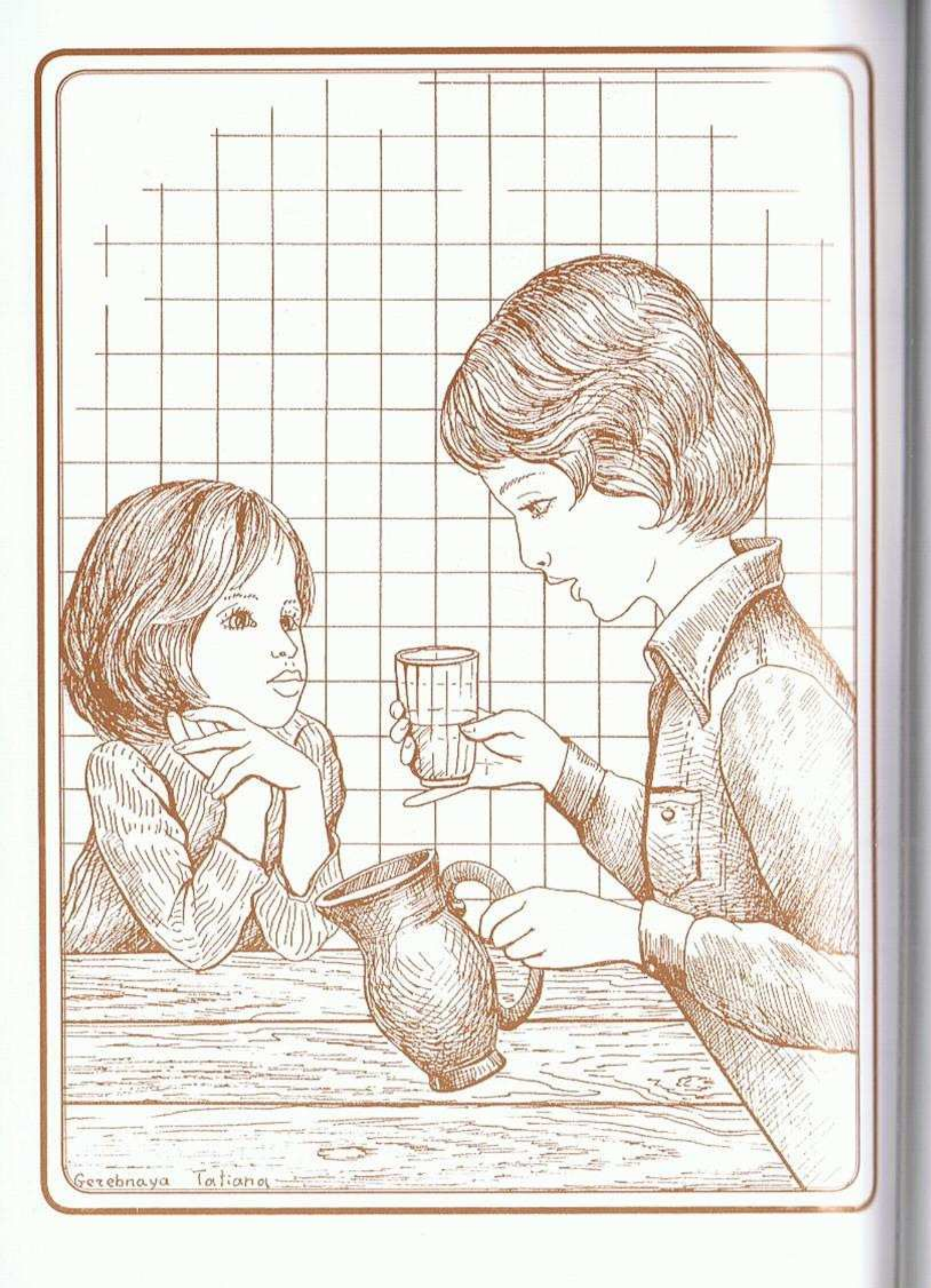
ـ كِلاهُما هُوَ... نِصْفُهُ فارِغٌ، وَالنِّصْفُ الآخَرُ مَمْلوءٌ ماءً..

ـ حَسَنًا قالَتِ المُعَلِّمَةُ، وَهكذا تَمامًا هِيَ الحَياةُ، نِصْفُها فارِغٌ وَالنِّصْفُ الآخَرُ عامِرٌ بِالأَمَلِ وَالخَيْرِ، وَنَحْنُ الَّذينَ نُقَرِّرُ عَلى أَيُّهِما نُرَكِّزُ.. وَالإِنْسانُ العاقِلُ يَتَشَبَّثُ بِحَبْلِ الرَّجاءِ، مَهْما يَكُنْ هَزيلًا.. إِنَّها «إِرادَةُ الحَياةِ» الَّتي يَلْتَزِمُ بِها النّاجِحونَ!

.. النَّظَرِيَّةُ، بِحَدِّ ذاتِها جَميلَةٌ، وَلَمْ يَعْصَ عَلى «غادَةَ» فَهْمُها، وَظَلَّتْ طَوالَ السّاعاتِ التّالِيَةِ تُفَكِّرُ فيها وَتُوَسِّعُها تَحْليلًا، مُجْتَهِدَةً لِتَفْهَمَ الحافِزَ الَّذي جَعَلَ مُعَلِّمَتَها تُلَقِّنُها هذا الدَّرْسَ..

كانَ اليَوْمُ الثّاني يَوْمَ عُطْلَةٍ، وَقَدْ صَحا الجَوُّ بَعْدَ زَخّاتِ مَطَرٍ خَريفِيٍّ، فَخَرَجَتْ «غادَةُ»، عَلى عادَتِها، تَتَنَزَّهُ. فَوْقَ الجَبَلِ القَريبِ، اسْتَقْبَلَتْها رُفوفُ الطُّيورِ مُتَّجِهَةً نَحْوَ الصَّحْراءِ، فَطابَ لِلْفَتاةِ التَّحْديقُ إِلى الطُّيورِ المُهاجِرَةِ، وَتَأَمُّلُ حَرَكاتِها الإِيقاعِيَّةِ الرَّشيقَةِ، وَكَيْفَ بَدَتْ تُلَوِّحُ بِأَجْنِحَتِها النَّشيطَةِ، وَعُيونُها مُصَوَّبَةٌ إِلى الأَمامِ، دائِمًا إِلى الأَمامِ!

في غَمْرَةِ ذُهولِها حِيالَ هذا المَشْهَدِ الأَخيرِ، وَعِنْدَما اقْتَرَبَتِ الطُّيورُ، لاحَظَتْ «غادَةُ» ما أَدْهَشَها! كانَ أَحَدُ أَفْرادِ السِّرْبِ مُتَخَلِّفًا عَنْ جَماعَتِهِ، يَخْفِقُ بِجَناحٍ واحِدٍ وَكَأَنَّ الثّانِيَ مَكْسورٌ أَوْ مُصابٌ! وَرُغْمَ هذا، فَقَدْ أَبى الطّائِرُ الاسْتِسْلامَ، وَأَصَرَّ عَلى المُضِيِّ في الرِّحْلَةِ، مَهْما كَبَّدَهُ ذلِكَ مِنْ جُهْدٍ وَضَنًى.. فَيا لَهُ مِنْ طائِرٍ شُجاعٍ، فَكَّرَتْ «غادَةُ».. وَبِماذا تَصِفُهُ مُعَلِّمَتُها، لَوْ رَأَتْهُ عَلى هذِهِ الحالِ، يا تُرى؟



بَقِيَ السُّؤالُ المُحَيِّرُ يَجُولُ في خاطِرِها، وَهيَ شاخِصَةٌ إلى الطُّيورُ المُهاجِرَةِ، هَرَبًا مِنَ العَواصِفِ وَالأَمْطارِ، إلى البِلادِ الدَّافِئَةِ.. وَأَكْثَرُ ما اسْتَأْثَرَ بِاهْتِمامِها ذلِكَ الطَّائِرُ المُتَخَلِّفُ الَّذي أَصَرَّ عَلى التَّحْليقِ مَعَ جَماعَتِهِ، حَتَّى بِجَناحٍ واحِدٍ!

ظَلَّتْ فَتاتُنا عَلى التَّلَّةِ، تَرْنو إلى رُفوفِ الطُّيورِ المُهاجِرَةِ، بِذلِكَ الزَّخْمِ العَجيبِ، حَتَّى إذا ما غابَتْ عَنْ نَظَرِها، تَنَبَّهَتْ إلى أَنَّ نَسَمَةً بارِدَةً لَفَحَتْ وَجْهَها بِرِفْقٍ، فَمَلَأَتْ صَدْرَها مِنْها مِرارًا، طَلَبًا لِلانْتِعاشِ، ثُمَّ تَحَوَّلَتْ نَحْوَ عالَمِ الطَّبيعَةِ السَّاهِمَةِ قُبَيْلَ الغُروبِ، تَسْتَطْلِعُ حَناياها بِلَذَّةٍ ما بَعْدَها لَذَّةٌ:

– السِّنْديانُ المَنيعُ حافِظٌ عَلى خُضْرَتِهِ النَّضِرَةِ، رُغْمَ مَواسِمِ الجَفافِ، وَالتِّلالُ الصَّخْرِيَّةُ هَلَّلَتْ لِأَمْطارِ الخَريفِ، وَاسْتَعْجَلَتْ تَدْفَعُ النَّباتاتِ وَبَعْضَ الأَزْهارِ الوَرْدِيَّةِ إلى وَجْهِ الأَرْض..

يا لَلْعَجَبِ!! مَنْ يُصَدِّقُ أَنَّ هذهِ المُدَّةَ الفسيحَةَ، كانَتْ، لِأَسابيعَ خَلَتْ، قاحِلَةً تَكْسوها الأَشْواكُ؟!

وَفيما «غادَةُ» تَنْقُلُ خُطاها بِحَذَرٍ، فَوْقَ الصُّخورِ المُحاطَةِ بِالتُّرابِ، وَجَدَتْ نَفْسَها فَجْأَةً، أَمامَ مَنْظَرٍ سَمَّرَها لِبُرْهَة.. ثَمَّةَ زَهْرَةٌ بَرِّيَّةٌ نَحيلَةٌ سَقَطَتْ عَلى التُّرابِ.. لَعَلَّ أَحَدَ المارَّةِ داسَ عَلَيْها عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ..

بِحَنانٍ، انْحَنَتْ عَلى الزَّهْرَةِ تَسْتَطْلِعُ حَقيقَةَ ما بِها، فَإِذا هِيَ مَكْسورَةُ الجِذْعِ، لكِنَّها لَمْ تَنْفَصِلْ عَنْهُ، بَلْ ظَلَّتْ مُعَلَّقَةً بِجُزْءٍ مِنْ لِحائِهِ.. حاوَلَتْ «غادَةُ» «تَجْليسَ» الزَّهْرَةِ، وَإِسْنادَها بِعودٍ رَكَّزَتْهُ عِنْدَ أَصيلِها، لكِنَّها فَشِلَتْ. وَأَحَسَّتْ بِانْقِباضٍ، عِنْدَما اضْطُرَّتْ لِتَرْكِها عَلى حالِها، بَعْدَما بَدَأَ المَساءُ الرَّماديُّ يَمْسَحُ حُمْرَةَ الغُروبِ بِوِشاحِهِ الشَّفّافِ.. فَعادَتْ إِلى بَيْتِها مَخافَةَ أَنْ تَدْهَمَها الظُّلْمَةُ، وَقَلْبُها الصَّغيرُ يَتَفَطَّرُ عَلى تِلْكَ الزَّهْرَةِ البائِسَةِ.

.. مَرَّتْ أَيّامٌ، سَقَطَتْ خِلالَها الأَمْطارُ الغَزيرَةُ، وَرُغْمَ انْشِغالِها بِدُروسِها، لَمْ تَنْسَ «غادَةُ» المَشْهَدَيْنِ المُؤَثِّرَيْنِ اللَّذَيْنِ صادَفَتْهُما خِلالَ نُزْهَتِها المَسائِيَّةِ.. وَالغَريبُ، أَنَّها لَمْ تَكُنْ جازِعَةً عَلى الطَّيْرِ المَكْسورِ الجَناحِ، بَعْدَ أَنِ اطْمَأَنَّتْ إِلى قُدْرَتِهِ عَلى اللَّحاقِ بِرِفاقِهِ الَّذينَ، بِدَوْرِهِم – في تَصَوُّرِها – لَنْ يَتْرُكوهُ يَسْقُطُ..

أَمّا الزَّهْرَةُ المِسْكينَةُ، فَلا رِفاقَ يُؤازِرُونَها، وَلا قُدْرَةَ لَها عَلى الدِّفاعِ عَنْ نَفْسِها، فَهَلْ تَراها ذَبُلَتْ وَماتَتْ، أَوْ جَرَفَتْها المِياهُ؟

حالَما تَوَقَّفَ المَطَرُ وَصَحا الجَوُّ، قَرَّرَتْ «غادَةُ» القِيامَ بِنُزْهَةٍ اسْتِطْلاعِيَّةٍ قَصيرَةٍ، فَقَطْ لِلتَّطَمُّنِ عَلى مَصيرِ الزَّهْرَةِ..

كَمْ كانَتْ دَهْشَتُها عَظيمَةً، وَفَرَحُها أَعْظَمَ، عِنْدَما وَجَدَتْها عَلى أَحْسَنِ حالٍ! وَالغَريبُ أَنَّها

كانَتْ ما تَزالُ مُسْتَلْقيَةً عَلى التُّرابِ، إنَّما، في عِزِّ تَفَتُّحِها وَارْتِوائِها!

فَيا لَلْمُعْجِزَة! هَتَفَتْ «غادَةُ» بِصَوْتٍ عالٍ، وَهيَ تُطيلُ التَّحْديقَ بِالزَّهْرَةِ، وَبِالجُزْءِ الهَزيلِ الَّذي أَمَدَّها بِالغِذاءِ مِنْ أُمِّها!

إنَّها حَتْمًا «إرادَةُ الحَياةِ» ـ تِلْكَ الأُمْثولَةُ الرّائِعَةُ الَّتي حَفِظَتْها عَنْ مُعَلِّمَتِها.

نَشْوَةُ الانْتِصار!

.. إنَّهُ يَوْمُ عُطْلَةٍ، وَ«زينَةُ» الصَّغيرَةُ عَلى مَكْتَبِها تَدْرُسُ.. أَوْ تُحاوِلُ أَنْ تَدْرُسَ. عَيْنُها عَلى النّافِذَةِ، وَعَلى العاصِفَةِ في الخارِجِ، وَالأَمْطارُ الغَزيرَةُ تَنْهَمِرُ عَلى الحَديقَةِ وَالطُّرُقاتِ، وَأَشْجارِ الغابَةِ البَعيدَةِ ـ مَنْظَرٌ، طالَما تاقَتْ «زينَةُ» إلى الدُّنُوِّ إلَيْهِ حَتّى، وَإلى التَّوَغُّلِ فيهِ. كَيْفَ؟!

إنَّها، بِبَساطَةٍ، تَعْشَقُ الخُروجَ إلى أَحْضانِ الطَّبيعَةِ إبّانَ ثَوْرَتِها، وَسَطَ الرِّياحِ وَالمَطَرِ، وَرَفْعَ

وَجْهها إلى فَوْق، لِيَغْتَسِلَ جيِّدًا بالمياهِ النَّازِلَةِ مِنَ السَّماء!

مَرَّةً، اجْتَرَأَتْ على القِيامِ بِهذِهِ المُغامَرَة، فَتَلَقَّتْ مِنْ أُمِّها قِصاصًا، لَنْ تَنْساهُ أَبَدًا.. حَجَزَتْها في غُرْفَتِها خَمْسَ ساعاتٍ مُتَوالِيَةٍ، وَأَخَذَتْ مِنْها عَهْدًا، بِأَلَّا تَرْتَكِبَ مِثْلَ هذِهِ الحَماقَةِ مَرَّةً ثانِيَة..

وَالآنَ، لِماذا، كُلَّما هَبَّتِ العاصِفَةُ وَتَساقَطَ المَطَرُ، تَعودُ إِلَيْها هذِهِ الذِّكْرى، جامِحَةً بِزَخْمٍ، بِكُلِّ ما تَحْمِلُ مِنْ فَرَحٍ.. وَخَيْبَة؟!

أَمامَها عَلى المَكْتَبِ فَرْضُ الحِسابِ.. أَكْمَلَتْ نِصْفَهُ، وَلَمْ يَعُدْ عِنْدَها صَبْرٌ عَلى إِنْجازِهِ.. وَعَلى السَّريرِ ثِيابٌ وَكُتُبٌ.. وَأَشْياءُ أُخْرى، تَكاسَلَتْ عَنْ تَوْضيبِها، وَإِعادَتِها إِلى أَماكِنِها.. وَعَلى الأَرْضِ تَبَعْثَرَتِ الأَلْعابُ وَالأَحْذِيَةُ وَالجَوارِبُ.. راحَتْ «زينَةُ»، عَلى كُرْهٍ، تُنَقِّلُ النَّظَرَ مِنْ مَشْهَدٍ إِلى مَشْهَدٍ.

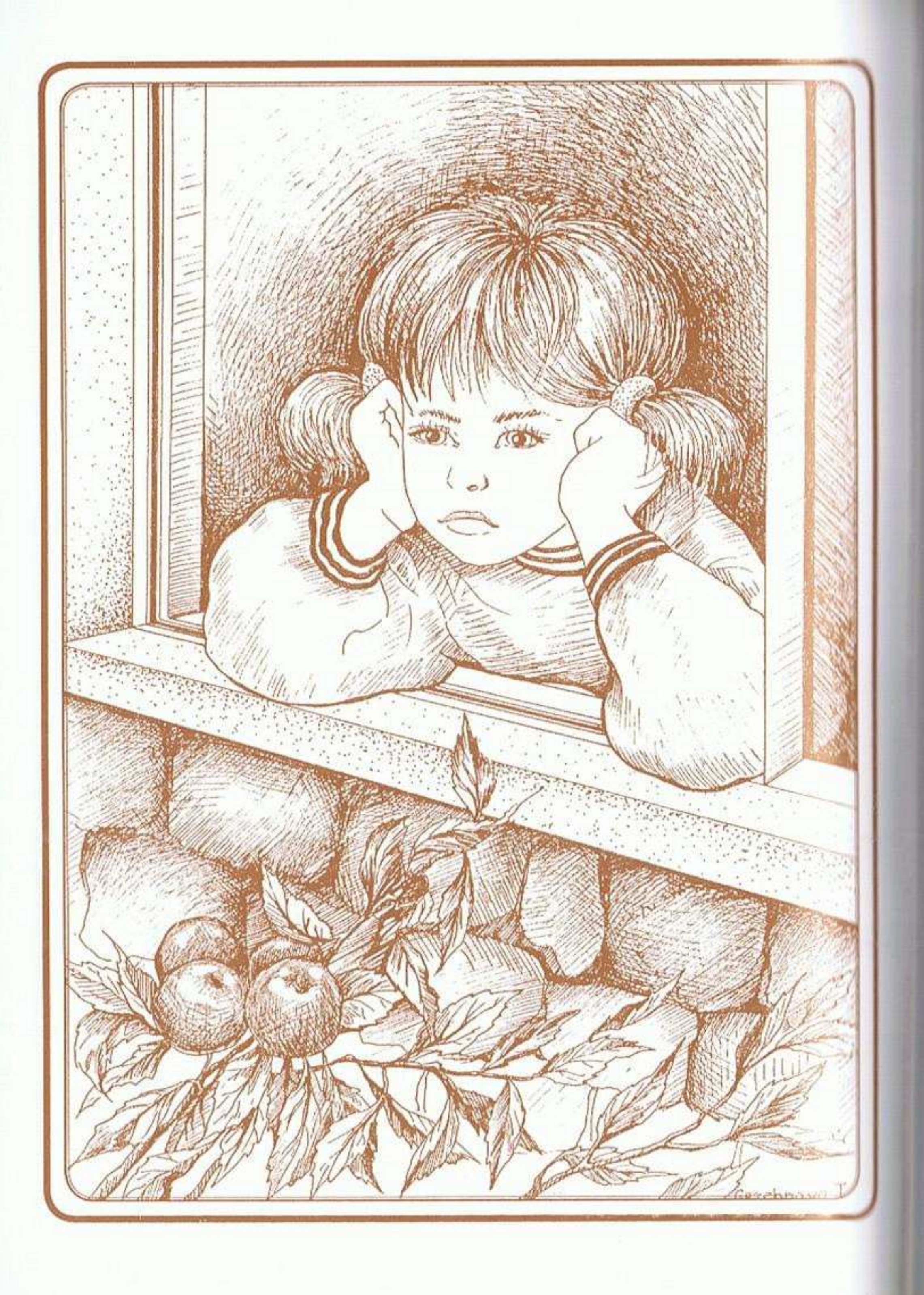
وَمَرَّةً ثانِيَةً، تَذَكَّرَتْ أُمَّها الَّتي طالَما وَصَفَتْها، وَهِيَ تَسْتَشيطُ غَضَبًا:

ـ كَمْ أَنْتِ قَليلَةُ التَّرْتيبِ يا «زينَة»!

هَلْ أَنا حَقًّا قَليلَةُ التَّرْتيبِ؟ تَساءَلَتِ الفَتاةُ، وَهِيَ تُمْعِنُ الفِكْرَ، بِمَوْضوعِيَّةٍ لَيْسَتْ مِنْ طَبيعَتِها. وَأَجابَتْ بِجُرْأَةٍ هِيَ مِنْ صُلْبِ شَخْصِيَّتِها:

ـ بَلْ أَنا أَكْثَرُ مِنْ ذلِكَ.. وَفَضْلًا عَنْ قِلَّةِ تَرْتيبي، يَسْتَوْلي عَلَيَّ الضَّجَرُ وَاللَّامُبالاةُ وَعَدَمُ الصَّبْرِ.. لَمْ أَنْصَرِفْ مَرَّةً لِمُعالَجَةِ فَرْضٍ مَدْرَسِيٍّ، وَأَنْجَزْتُهُ.. كُلُّ رُسومي وَأَشْغالي اليَدَوِيَّةُ غَيْرُ مُكَمَّلَة.. وَهذا، طَبْعًا، يُزْعِجُني، وَيُفْقِدُني الكَثيرَ مِنَ الثِّقَةِ بِنَفْسي.. ما العَمَلُ؟ هَلْ مِنْ سَبيلٍ إِلى إِصْلاحِ ذاتي؟

عادَتْ «زينَةُ» تَتَأَمَّلُ ثَوْرَةَ الطَّبيعَةِ في الخارِجِ. إِنَّها لا تَمَلُّ أَبَدًا مِنَ النَّظَرِ إِلى هذِهِ اللَّوْحَةِ الرَّائِعَة..



وَخطَرَ لَها فَجْأَةً: لِماذا لا تَسْتَمِدُّ مِنْها القُوَّةَ على تَرْويضِ نَواحي ضُعْفِها، وَالشَّجاعَةَ على اتِّخاذِ خُطْوَةٍ حاسِمَةٍ، الآنَ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ على الخطّ عامِلٌ يُزَعْزِعُ إِرادَتَها؟

.. وَلِلحالِ، هَبَّتْ عَلى قَدَمَيْها، شَعْرُها الأَسْوَدُ المُتَماوِجُ كَشَلَّالٍ يَنْحَدِرُ عَلى ظَهْرِها.. مِنْ أَيْنَ تَبْدَأُ؟ أَكَبَّتْ عَلى ثِيابِها تُمَلِّسُها وَتُعَلِّقُها في الخِزانَةِ، ثُمَّ عَلى كُتُبِها تَصُفُّها في مَكانِها عَلى الرَّفِّ، ثُمَّ أَحْذِيَتِها وَالأَلْعاب..

في أَقَلِّ مِنْ نِصْفِ ساعَةٍ، أَصْبَحَ كُلُّ شَيْءٍ في مَكانِهِ.. عِنْدَئِذٍ، نَفَّضَتْ «زينَةُ» سَريرَها، وَأَلْقَتْ عَلَيْهِ غِطاءَهُ البُرْتُقالِيَّ، بِلَوْنِ الضَّوْءِ وَالسَّتائِرِ.. وَلَمَّا أَيْقَنَتْ أَنَّ غُرْفَتَها باتَتْ، كَما تُريدُها أُمُّها أَنْ تَكونَ، تَنَفَّسَتِ الصُّعَداءَ.. لَقَدْ قَطَعَتْ شَوْطًا مِنَ المِشْوارِ العَسيرِ، وَكَأَنَّ شِحْنَةً مِنَ الحَيَوِيَّةِ

وَالنَّشاطِ تَغَلْغَلَتْ في عُروقِها، وَقَضَتْ عَلى الخُمولِ وَالكَسَلِ..

في غَمْرَةِ هذا الشُّعورِ المُتَوَقِّدِ، عَكَفَتْ عَلى فَرْضِ الحِسابِ، تُنْجِزُهُ حَتّى النِّهايَةِ.. ثُمَّ فُروضِ القَواعِدِ العَرَبِيَّةِ وَسائِرِ الواجِباتِ المَدْرَسِيَّةِ.. وَكانَتْ، كُلَّما راوَدَها شَيْءٌ مِنَ الفُتورِ، أَوْ حَدَّثَتْها نَفْسُها بِالكَفِّ عَنْ إِرْهاقِ نَفْسِها، تَحَوَّلَتْ تِلْقائِيًّا إِلى مَنْظَرِ العاصِفَةِ وَالمَطَرِ، وَاسْتَعادَتْ مِنْهُ ثَباتَها وَإِصْرارَها عَلى المُضِيِّ في تَصْميمِها الإِصْلاحِيِّ الذّاتِيِّ، لِتَرى إِلى أَيْنَ عَساهُ يَنْتَهي بِها؟

كُلُّ التَّأْنيبِ وَاللَّوْمِ وَالعِتابِ، مِمّا جَرَحَ سَمْعَها وَإِحْساسَها، طَوالَ سَنَواتٍ، سَواءٌ مِنْ مُعَلِّماتِها أَوْ أَهْلِها، وَبِخاصَّةٍ أُمِّها، لَمْ يُجْدِ نَفْعًا، وَلَمْ يَلْقَ التَّجاوُبَ الفَعّالَ الَّذي تَرَكَتْهُ في كِيانِها ثَوْرَةُ الطَّبيعَةِ وَأَمْطارُها المِدْرارَةُ.

عَجيبٌ أَمْرُ هذِهِ الصَّغيرَةِ المُتَمَرِّدَةِ! كَيْفَ اسْتَجابَتْ فَجْأَةً لِنِداءِ الضَّميرِ الَّذي لامَسَ وَتَرًا مُرْهَفًا في أَعْماقِها، فَوَعَتْ واقِعَها الفَوْضَوِيَّ غَيْرَ المَرْضِيِّ، وَصَمَّمَتْ عَلى اتِّخاذِ مَوْقِفٍ حازِمٍ مِنْهُ.. وَنَجَحَتْ!

.. عِنْدَما جالَتْ «زينَةُ» عَيْنَيْها في أَرْجاءِ الغُرْفَةِ، وَتَفَقَّدَتْ فُروضَها المَدْرَسِيَّةَ، وَاطْمَأَنَّتْ إِلى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ باتَ عَلى ما يُرامُ.. قَفَزَتْ إِلى الحَمّامِ، لِتَخْرُجَ مِنْهُ بَعْدَ دَقائِقَ، تَرْتَدي ثِيابَها، وَتُسَرِّحُ شَعْرَها، وَتَجْلِسُ مُجَدَّدًا.. إِلى الرَّسْمِ غَيْرِ المُكَمَّلِ التَّلْوينَ، لِتَضَعَ فَوْقَهُ لَمَساتِها الأَخيرَةَ، ثُمَّ تَتَحَوَّلُ نَحْوَ مِفْرَشٍ صَغيرٍ صارَ لَهُ بَيْنَ يَدَيْها بِضْعَةَ شُهورٍ.. كُلَّما بَدَأَتْ في التَّطْريزِ ساوَرَها الضَّجَرُ، فَقَذَفَتْ بِالمِفْرَشِ إِلى قاعِ الخِزانَةِ..

وَها هِيَ الآنَ تَرْفَعُهُ عالِيًا.. تَتَأَمَّلُهُ.. وَتُخاطِبُهُ بِحَنانٍ، وَهِيَ في أَوْجِ مَعْنَوِيّاتِها وَسَعادَتِها:

ـ كَفاني ما حَقَّقْتُهُ هذا الصَّباحَ.. أَشْعُرُ بِالجوعِ يَعُضُّني.. بَعْدَ الغَداءِ وَالاسْتِراحَةِ، سَيَكونُ لي مَعَكَ جَلْسَةٌ طَويلَةٌ، أَيُّها المَفْرَشُ الجَميلُ!

أَسْرَعَتْ «زينَةُ» إِلى المَطْبَخِ تُنادي أُمَّها بِأُسْلوبِ الغَنَجِ الخاصِّ بِها.. وَمِنَ النَّظْرَةِ الأُولى إِلى مَظْهَرِها الخارِجِيِّ المُرَتَّبِ، عَلى غَيْرِ عادَةٍ، وَعَيْنَيْها المُشِعَّتَيْنِ بِأَلْفِ نَجْمَةٍ، فَهِمَتِ الأُمُّ بَعْضَ ما طَرَأَ مِنْ تَحَسُّنٍ عَلى ابْنَتِها، الَّتي كانَتْ تَتَأَلَّقُ بِنَشْوَةِ الفَرَحِ وَالانْتِصارِ، وَكَلِماتُها المُتَوَتِّرَةُ تَطْغى عَلى المَطَرِ وَالرِّياحِ.. إِنَّها لَنْ تَتْرُكَ بَعْدَ اليَوْمِ ثَمَّةَ عَمَلٍ غَيْرِ مُكَمَّلٍ، أَو في غَيْرِ مَوْضِعِهِ.. وَما أَكْبَرَ الفَرْقَ بَيْنَ النِّظامِ وَالفَوْضى!

وَكانَ وَعْدًا شَرَفًا أَنْهَتْهُ «زينَةُ» بِالتَّساؤُلِ، وَهِيَ تَتَضاحَكُ بِجَذَلٍ وَتَغْمِزُ بِطَرْفِ عَيْنَيْها:

ـ هَلْ تَسْمَحُ لي أُمّي بِنُزْهَةٍ قَصيرَةٍ؟

ـ .. في العاصِفَةِ وَالمَطَرِ؟!..

ـ لا. لا. بَلْ في السَّيّارَةِ مَعَكِ!!

اِسْتِثْمارُ القِصَص: ميرنا داغر

- لِلْفَهْم
- لِلتَّحليل
- لِاسْتِكْشافِ شُروطِ الكِتابَةِ الفَنِّيَّة
- الأُسلوب
- تَصْميم أو تَلْخيص
- لُغَةٌ وَتَعْبير
- مَعْلومات

سرّ الآلة الطائرة

• لِلْفَهْم

١ ـ لِماذا تَساءَلَ الوالِدُ عَنْ مَكانِ «ضياء»؟

٢ ـ عَلامَ صَمَّمَ «ضياء» بِالنِّسْبَةِ إلى الآلَةِ الطّائِرَة؟

٣ ـ مِمَّنْ طَلَبَ المُساعَدَة؟

٤ ـ ماذا قَدَّمَ لِلْعُصْفورَةِ وَفِراخِها؟

٥ ـ ما هِيَ النَّصيحَةُ الَّتي قَدَّمَتْها العُصْفورَةُ «لِضياء»؟

٦ ـ بِمَ وَصَفَ والِدا «ضِياء» ابْنَهُما؟

• لِلتَّحليل

١ ـ لِماذا كانَ «ضِياء» يَشْعُرُ أَنَّ هذا العُصْفورَ هُوَ صَديقٌ لَه؟

٢ ـ ماذا عَنى العُصْفورُ بِقَوْلِه: «عَلَيْكَ أَوَّلًا أَنْ تَتَحَلّى بِالصَّبْر»؟

٣ ـ هَلْ شَعَرَ «ضِياء» أَمامَ فَشَلِه أَنَّهُ يُريدُ أَنْ يَتَراجَع؟ ما الَّذي كانَ يُشَجِّعُهُ عَلى المُتابَعَة؟

• لِاسْتِكْشافِ شُروطِ الكِتابَةِ الفَنِّيَّة

١ ـ بِأَيِّ أُسْلوبٍ كُتِبَتْ هذِهِ القِصَّة؟

٢ ـ عَيِّنْ في هذِهِ القِصَّةِ عَناصِرَ البِناءِ القَصَصِيِّ شارِحًا.

• تَصميم

١ ـ قَسِّمِ القِصَّةَ إِلى مَقاطِعَ وَضَعْ عُنْوانًا لِكُلِّ مَقْطَع.

• اللُّغَة وَالتَّعْبير

١ ـ خُذْ مِنَ النَّصِّ بَعْضَ أَساليبِ الكَلامِ، وَبَيِّنْ قيمَةَ كُلٍّ مِنْها في التَّعْبيرِ عَنِ الفِكْرَة.

ماذا تَبْغي «نَوّار»؟!

• لِلفَهم

١ ـ كَيْفَ اسْتَيْقَظَتْ «نَوّار» مِنَ النَّوْم؟

٢ ـ بِمَ شَعَرَ الوالِدُ عِنْدَ رُؤْيَةِ ابْنَتِه، وَقَدِ اسْتَيْقَظَتْ وَخَرَجَتْ مِنْ غُرْفَتِها؟

٣ ـ ما هِيَ المُقَدِّمَةُ الَّتي مَهَّدَتْ بِها «نَوّار» لِلطَّلَبِ مِنْ أَبيها السَّفَرَ إِلى «لُبْنان»؟!

٤ ـ ما كانَتِ المُفاجَأَةُ في آخِرِ الأَمْر؟

• لِلتَّحليل

١ ـ لِماذا اسْتَغْرَبَ الأَبَوانِ ما صَدَرَ عَنْ «نَوّار» مِنْ كَلام؟

٢ ـ كَيْفَ كانَ رَدُّ الوالِدَيْنِ بِالنِّسْبَةِ إِلى طَرْحِ «نَوّار»؟ وَلِماذا؟

٣ ـ ما سَبَبُ تَرَدُّدِ الوالِدِ في اتِّخاذِ القَرار؟

٤ ـ كَيْفَ تُفَسِّرُ تَواطُؤَ الإِخْوَةِ وَالأَخَواتِ مَعَ «نَوّار»؟

• لاستِكْشافِ شُروطِ الكِتابَةِ الفَنِّيَّة

١ ـ في القِصَّةِ فِكْرَةٌ أَساسِيَّةٌ تُشَكِّلُ عُنْصُرَ الإِثارَة. عَيِّنْها.

٢ ـ ماذا تُسَمّي هذا النَّوْعَ مِنَ الكِتابَة؟ وَما هِيَ خَصائِصُه؟

• تَصْميم

١ ـ خُذْ مِنَ النَّصّ الأَفْكارَ الأَساسِيَّةَ وَالأَفْكارَ الثّانَوِيَّةَ، وَرَتِّبْها في تَصْميمٍ مُرَكَّز.

حَديثُ الفَراشَة

• لِلْفَهْم

١ ـ بِماذا أَنْعَمَ اللهُ عَلى «سَناء»؟ وَماذا كانَ يَنْقُصُها؟

٢ ـ كَيْفَ بَدا الفَرَحُ عَلى وَجْهِ «سَناء»؟

٣ ـ ما هِيَ المُعْجِزَةُ الَّتي حَدَثَتْ وَأَنْقَذَتْ «سَناء» مِنَ السَّجينات؟

• لِلتَّحليل

١ ـ لِماذا مَنَعَ الوَلِدُ ابْنَتَهُ مِنْ مُساعَدَةِ السَّجيناتِ في السِّجْن؟

٢ ـ ماذا كانَتْ رَدَّةُ فِعْلِ السَّجيناتِ لَدى مُشاهَدَتِهِنَّ «سَناء»؟ وَكَيْفَ تُحَلِّلُ ذلِكَ؟

____

٣ ـ جاءَ في النَّصِّ: «السِّجْنُ يَجِبُ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلى إِصْلاحِيَّةٍ لِتَأْهيلِ السَّجيناتِ وَمَنْحِهِنَّ العَطْفَ ...» اِشْرَحْ هذِهِ العِبارَةَ مُشَدِّدًا عَلى أَهَمِّيَّةِ العَطْفِ وَالحَنانِ في إِصْلاحِ الإِنْسانِ.

____

٤ ـ كَيْفَ بَدَتْ لَكَ «سَناء» مِنْ خِلالِ النَّصِّ؟

____

٥ ـ إِلامَ هَدَفَتِ الكاتِبَةُ مِنْ سَرْدِها هذِهِ القِصَّةَ؟ اِشْرَحْ مُحَلِّلًا.

____

____

٦ ـ هَلْ تَرى في هذا النَّصِّ ما يَنْطَبِقُ عَلى واقِعِنا الاجْتِماعِيِّ؟ اِشْرَحْ.

____

• اِسْتِكْشافُ شُروطِ الكِتابَةِ الفَنِّيَّةِ

١ ـ كَيْفَ وَصَفَتِ الكاتِبَةُ وَجْهَ «سَناء»؟ حاوِلْ أَنْ تَصِفَهُ أَنْتَ بِأُسْلوبِكَ الخاصِّ.

____

• تَلْخيص

١ ـ لَخِّصِ القِصَّةَ في بِضْعَةِ أَسْطُرٍ.

____

____

____

• اللُّغَةُ وَالتَّعْبيرُ

١ ـ اِسْتَخْرِجْ مِنَ النَّصِّ التَّعابيرَ الَّتي وَصَفَتْ بِها الكاتِبَةُ حالَةَ البُؤْسِ السّائِدَةِ في السِّجْنِ، ثُمَّ أَعِدْ تَوْظيفَها في نَصٍّ قَصيرٍ مِنْ تَأْليفِكَ.

____

____

غدًا نكْبَرُ

• لِلفَهم

١ ـ ماذا قالَ الجَدُّ «لِنُعْمان» عِنْدَما سَأَلَهُ عَنْ والِدِه؟

٢ ـ بِمَ أَجابَ الجَدُّ حَفيدَهُ عِنْدَما اسْتَنْكَرَ قائِلًا: «لِماذا لا نَمْنَعُهُمْ يا جَدّي»؟

٣ ـ ماذا قَرَّرَ «نُعْمان» لِمُواجَهَةِ ظُلْمِ العَدُوِّ وَطُغْيانِه؟

٤ ـ ما هِيَ حِكايَةُ البُسْتان؟

• لِلتَّحليل

١ ـ لِماذا كانَ «نُعْمان» يَتَقَلَّبُ في فِراشِه؟

٢ ـ حَلِّلْ شَخْصِيَّةَ «نُعْمان» كَما بَدَتْ لَكَ مِنْ خِلالِ القِصَّة؟

٣ ـ «اللهُ كَريم. وَمَنْ آمَنَ بِهِ وَعَمِلَ وَجَدَّ، فَإِنَّهُ حَتْمًا يَحْظى بِالفَرَج...» حَلِّلْ هذا القَوْلَ مُسْتَنِدًا إِلى وَقائِعَ مِنَ الحَياة.

٤ ـ كَيْفَ بَدَتْ لَكَ شَخْصِيَّةُ كُلٍّ مِنَ الجَدِّ وَالصَّغيرَيْن؟

• اِسْتِكْشافُ شُروطِ الكِتابَةِ الفَنِّيَّةِ

١ ـ هَلْ نَجَحَتِ الكاتِبَةُ في اعْتِمادِ عُنْصُرِ التَّشْويقِ خِلالَ هذِهِ الأُقْصوصَةِ؟ أَعْطِ أَمْثِلَةً مُخْتَلِفَةً.

٢ ـ عَلامَ رَكَّزَتِ الكاتِبَةُ اهْتِمامَها في سِياقِ القِصَّةِ؟ أَعَلى الأَوْصافِ أَمْ عَلى الأَفْعالِ؟ اِشْرَحْ.

• تَصْميم

١ ـ ضَعْ تَصْميمًا مُفَصَّلًا لِهذِهِ القِصَّةِ.

• اللُّغَةُ وَالتَّعْبير

١ ـ خُذْ مِنَ النَّصِّ بَعْضَ الأَفْعالِ المَزيدَةِ. اِشْرَحْ مَعْنى كُلٍّ مِنْها، ثُمَّ ضَعْهُ في جُمْلَةٍ مُفيدَةٍ.

لَمْ يَعُدْ يَخْتَبِئُ تَحْتَ السَّرير

• لِلفَهم

١ ـ مَنْ هُوَ «وائِل»؟ وَما هِيَ صِفاتُه؟

٢ ـ أَيْنَ كانَ «وائِل» يَخْتَبِئُ عِنْدَما كانَتِ المَشاكِلُ تَتراكَمُ عَلَيْه؟

٣ ـ بِماذا كانَ يَشْعُرُ وَهُوَ في مَخْباه؟

٤ ـ هَلْ تَغَيَّرَ عِنْدَما كَبِرَ؟ كَيْفَ؟

٥ ـ ما هِيَ النَّصائِحُ الَّتي قَدَّمَها لَهُ أَخوه؟ وَمِنْ أَيْنَ اسْتَقاها؟

٦ ـ هَلْ تَجاوَبَ «وائِل» مَعَ ما قَدَّمَهُ لَهُ أَخوهُ مِنْ نَصائِح؟ كَيْفَ؟

• لِلتَّحليل

١ ـ هَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تُحَلِّلَ شَخْصِيَّةَ «وائِل» مِنْ خِلالِ رُدودِ فِعْلِه؟

٢ ـ في النَّصِّ حالاتُ كَآبَةٍ وَقَلَقٍ وَضيق. ما هِيَ الكَلِماتُ وَالتَّعابيرُ الَّتي تُظْهِرُها؟

• لِاسْتِكْشافِ شُروطِ الكِتابَةِ الفَنِّيَّةِ

١ ـ دُلَّ في النَّصِّ عَلى عَناصِرِ التَّشْويقِ، مُبَيِّنًا أَهَمِّيَّتَها.

٢ ـ بَيِّنْ كَيْفَ تَداخَلَ الوَصْفُ وَالسَّرْدُ في هذِهِ القِصَّةِ.

• تَصْميم

١ ـ قَسِّمِ القِصَّةَ إِلى فِقَرٍ، وَضَعْ عُنْوانًا لِكُلِّ فِقْرَةٍ.

٢ ـ لَخِّصْ هذِهِ القِصَّةَ في بِضْعَةِ أَسْطُرٍ.

• اللُّغَةُ وَالتَّعْبير

١ ـ خُذْ مِنَ النَّصِّ ثَلاثَةَ أَفْعالٍ مَزيدَةٍ، وَأَلِّفْ عَلى كُلٍّ مِنْها جُمْلَةً مُفيدَةً.

إِنْشاء أَم قَصيدَةُ شِعْر؟

• لِلفَهم

١ ـ عَنْ أَيِّ فَصْلٍ أَرادَتْ «رُوَيْدَة» أَنْ تَكْتُبَ؟

٢ ـ مِمَّنْ جاءَها السُّؤالُ الصّارِخُ الَّذي أَجْفَلَها؟

٣ ـ لِماذا شَبَّهَتْ «رُوَيْدَة» أُخْتَها «سِهام» بِفَصْلِ الرَّبيع؟

٤ ـ لِفَصْلِ الخَريفِ مَشاهِدُ وَمُؤَثِّراتٌ تُحَرِّكُ الأَحاسيسَ وَالمَشاعِرَ. أُذْكُرْ ما قالَتْهُ «رُوَيْدَة» عَنْها.

• لِلتَّحليل

١ ـ كَيْفَ وَصَفَتِ الكاتِبَةُ «رُوَيْدَة» وَهِيَ تَكْتُبُ مَوْضوعَها الإِنْشائِيَّ؟

٢ ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ «رُوَيْدَة» وَأُخْتِها؟ اِشْرَح.

• لِاسْتِكْشافِ شُروطِ الكِتابَةِ الفَنِّيَّة

١ ـ تَقومُ هذِهِ القِصَّةُ في بَعْضِ جَوانِبِها عَلى الحِوار. ما هِيَ خَصائِصُ هذا النَّوْعِ الأَدَبِيِّ؟

٢ ـ تَنْتَمي هذِهِ الكِتابَةُ إِلى النَّوْعِ القَصَصِيّ. حاوِلْ أَنْ تَسْتَقْرِئَ بَعْضَ خَصائِصِ هذا النَّوْعِ مِنْ هذِهِ الأُقْصوصَة.

____

٣ ـ كَيْفَ ضَمَّنَتِ الكاتِبَةُ هذا النَّصَّ عاطِفَتَها وَشُعورَها؟

____

٤ ـ خُذْ مِنَ القِصَّةِ عَدَدًا مِنَ التَّشْبيهاتِ وَبَيِّنْ أَرْكانَها.

____

• اللُّغَة وَالتَّعْبير

١ ـ خُذْ تَعْبيرًا لُغَوِيًّا مِنَ النَّصّ، وَضَمِّنْهُ جُمْلَةً مِنْ تَأْليفِكَ.

____

____

____

____

٢ ـ إِذا أَرَدْتَ أَنْ تَصِفَ فَصْلَ الخَريفِ بِبِضْعَةِ أَسْطُرٍ، ماذا تَقول؟

____

____

____

____

لَمَسَتْهُ... ثُمَّ دَفَعَتْهُ بِأَنْفِها!

• **لِلْفَهْم**

١ ـ لِماذا رافَقَ «وَليد» أَباه؟

٢ ـ صِفِ العِجْلَ الَّذي خَرَجَ مِنْ رَحِمِ أُمِّه.

٣ ـ كَيْفَ تَصَرَّفَتِ البَقَرَةُ مَعَ عِجْلِها؟

٤ ـ هَلْ فَهِمَ «وَليد» الدَّرْسَ الَّذي أَرادَ والِدُهُ تَلْقِينَهُ إِيّاه؟ كَيْفَ؟

• **لِلتَّحليل**

١ ـ كَيْفَ بَدا «لِوَليد» أَنَّ هذا المَوْقِفَ كانَ فِعْلَ مُصادَفَة؟

٢ ـ لِماذا رَفَضَ «وَليد» فِكْرَةَ الالْتِحاقِ بِمَدْرَسَةٍ داخِلِيَّةٍ في المَدينَة؟

٣ ـ لِماذا اسْتَغْرَبَ «وَليد» التَّناقُضَ الَّذي ظَهَرَ في تَصَرُّفِ البَقَرَة؟

٤ ـ «ما إن انْتَهَتِ البَقَرَةُ مِنْ تَنْظيفِ العِجْلِ حَتّى لَمَسَتْهُ بِفَمِها، ثُمَّ دَفَعَتْهُ بِأَنْفِها بِقَساوَةٍ وَبِدُونِ تَرَدُّد». اشْرَحْ هذِهِ الجُمْلَةَ مُتَعَمِّقًا في مَدْلولِها.

٥ ـ كَيْفَ بَدا لَكَ والِدُ «وَليد» مِنْ خِلالِ القِصَّة؟

• لاِسْتِكْشافِ شُروطِ الكِتابَةِ الفَنِّيَّةِ

١ ـ ما هُوَ الحَدَثُ الرَّئيسيُّ الَّذي تَقومُ عَلَيْهِ هذِهِ القِصَّة؟

٢ ـ كَيْفَ تَتابَعَتِ الأَحْداثُ فيها؟

٣ ـ عَلامَ اعْتَمَدَتِ الكاتِبَةُ لِإِثارَةِ التَّشْويقِ خِلالَ السَّرْد؟

• اللُّغَةُ وَالتَّعْبير

١ ـ اِخْتَرْ مِنَ النَّصِّ أَفْعالًا مُوحِيَةً وَبَيِّنْ أَهَمِّيَّةَ وُرُودِها في هذِهِ الكِتابَة.

سلمى الفُضوليّة

• **لِلْفَهم**

١ ـ لِماذا نُعِتَتْ «سَلْمى» بِالفُضوليَّة؟

٢ ـ هَلْ كانَتْ تَعْرِفُ مَعْنى هذا اللَّقَب؟

٣ ـ كَيْفَ كانَتْ رَدَّةُ فِعْلِها حِيالَ الأَشْياءِ الَّتي كانَتْ تَلْمَعُ تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْس؟

٤ ـ لِماذا كانَتِ الأُمُّ تَخْجَلُ مِنِ ابْنَتِها؟ تَكَلَّمْ عَلى رَدَّةِ فِعْلِها تِجاهَ ذلِكَ.

٥ ـ ماذا وَجَدَتْ في القَبو؟ وَكَيْفَ تَصَرَّفَت؟

• **لِلتَّحليل**

١ ـ قالَتْ «سَلْمى»: «يَحْتاجُ الإِنْسانُ في الشِّتاءِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ فَصْلٍ آخَرَ إِلى الدِّفْء... وَمَنْ أَجْدَرُ بِهذِهِ المَسْؤوليَّةِ مِنْ أَخيهِ الإِنْسان؟» تَوَسَّعْ في هذِهِ الفِكْرَة.

٢ ـ هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ الانْتِقادَ هُوَ أُسْلوبٌ جَيِّدٌ في بِناءِ شَخْصِيَّةِ الإِنْسان؟ اِشْرَح.

٣ ـ هَلْ غَيَّرَتْ «سَلْمى» طَريقَةَ عَيْشِها وَتَصَرُّفِها عِنْدَما انْتَقَدَها إِخْوَتُها، أَمْ إِنَّها بَقِيَتْ مُقْتَنِعَةً بِما هِيَ عَلَيْه؟ اِشْرَح.

• لاستكشاف شروط الكتابة الفنّيّة

١ ـ إذا أَرَدْتَ أَنْ تَصِفَ «سَلْمى» بِكَلِمَتَيْن، ماذا تَقُولُ عَنْها؟

٢ ـ عَيِّنْ في هذهِ القِصَّةِ الأَحْداثَ المُتَتابِعَةَ، مُشيرًا إلى تَدَرُّجِها الزَّمَنيّ.

• اللُّغة والتَّعبير

١ ـ اِخْتَرْ بَعْضَ التَّعابيرِ البَليغَةِ، وَضَمِّنْها نَصًّا قَصيرًا مِنْ تَأْليفِكَ.

٢ ـ هَلْ حاوَلْتَ مَرَّةً أَنْ تَزْرَعَ نَبْتَةً وَتَسْقِيَها وَتَعْتَنيَ بِها؟ أَخْبِرْنا عَنْ ذلِكَ.

• معلومات

١ ـ إلامَ تَحْتاجُ النَّبْتَةُ لِتَعيشَ وَتَنْمو؟

الطَّائِرُ وَالزَّهْرَة

• للفهم

١ ـ كَيْفَ أَثارَتْ «غادَة» اهْتِمامَ مُعَلِّمَتِها؟

٢ ـ ما هُوَ المَثَلُ الَّذي أَعْطَتْهُ المُعَلِّمَةُ لِتُغَيِّرَ نَظْرَةَ «غادَة» إلى الحَياة؟

٣ ـ فَسِّرِ العِبارَةَ التَّالِيَةَ «إِنَّها إِرادَةُ الحَياة»؟

• لِلتَّحليل

١ ـ تَكَلَّمْ عَلى طَبيعَةِ «غادَة».

٢ ـ ما الَّذي أَدْهَشَ «غادَة» عِنْدَما رَأَتْ أَسْرابَ الطُّيورِ وَهِيَ تُهاجِرُ إِلى بِلادٍ دافِئَة؟

٣ ـ ما هِيَ الأُمْثولَةُ الَّتي جَعَلَتْ «غادَة» تُغَيِّرُ نَظْرَتَها التَّشاؤُمِيَّةَ إِلى الحَياة؟

٤ ـ ما هِيَ الغَرائِزُ المُشْتَرَكَةُ بَيْنَ الإِنْسانِ وَالحَيَوان؟

٥ ـ لِماذا كانَت «غادَة» تَتَأَمَّلُ الطُّيور؟ وَبِمَ كانَتْ تَشْعُرُ حِيالَها؟

• لِاسْتِكْشافِ شُروطِ الكِتابَةِ الفَنِّيَّة

١ ـ في أُسْلوبِ الكاتِبَةِ تَشْويقٌ وَرَشاقَة. خُذْ مِنَ النَّصِّ ما يَدُلُّ عَلى ذلِك.

٢ ـ حَدِّدْ في هذا النَّصِّ عَناصِرَهُ القَصَصِيَّة.

• تَلْخيص

١ ـ أَعِدْ كِتابَةَ هذِهِ القِصَّةِ بِاخْتِصار.

• اللُّغَة وَالتَّعبير

١ ـ عَيِّنْ في القِصَّةِ تَعابيرَ يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ مِحْوَرًا لِلْأَفْكارِ الَّتي وَرَدَتْ فيها.

٢ ـ أُكْتُبْ بَدَلًا مِنَ العِباراتِ الآتِيَةِ، ما يُؤَدّي المَعْنى نَفْسَه:

ـ تَسْتَشِفُّ فيها الإِحْساسَ وَالذَّكاء.

ـ يَتَشَبَّثُ بِحَبْلِ الرَّجاء.

نَشْوَةُ الانْتِصار

• الْفَهم

١ ـ ماذا كانَتْ «زينَة» تَعْشَقُ؟

٢ ـ ما هُوَ القَصاصُ الَّذي نالَتْهُ مِنْ أُمِّها عِنْدَما خَرَجَتْ في وَسَطِ العاصِفَة؟

٣ ـ ما كانَ السَّبيلُ إِلى إِصْلاحِ حالِها؟

٤ ـ هَلْ لاحَظَتِ الأُمُّ ما طَرَأَ مِنْ تَحَسُّنٍ عَلى ابْنَتِها؟ كَيْفَ؟

• لِلتَّحليل

١ ـ لِماذا تَذَكَّرَتْ «زينَة» وَصْفَ أُمِّها لَها؟

٢ ـ ماذا تَعَلَّمَتْ «زينَة» مِنَ الطَّبيعَة؟

٣ ـ ما الفرْقُ في نَظَرِكَ بَيْنَ النِّظامِ وَالفَوْضى؟

٤ ـ كَيْفَ تَصِفُ شَخْصِيَّةَ «زينَة»؟

٥ ـ مِنْ أَيْنَ اسْتَمَدَّتْ «زينَة» القُوَّةَ لِتَرْويضِ نَواحي ضُعْفِها؟

• لِاسْتِكْشافِ شُروطِ الكِتابَةِ الفَنِّيَّة

١ ـ إِلامَ هَدَفَتِ الكاتِبَةُ مِنْ سَرْدِها هذِهِ القِصَّة؟ اِشْرَحْ مُحَلِّلًا.

٢ ـ هَلْ أَكْثَرَتِ الكاتِبَةُ مِنِ اسْتِعْمالِ الصُّوَرِ التَّشْخيصيَّة؟ ما كانَ هَدَفُها مِنْها؟

٣ ـ ما الأُسْلوبُ الَّذي اعْتَمَدَتْهُ الكاتِبَةُ في هذا النَّصّ؟

٤ ـ كَيْفَ اسْتَطاعَتِ الكاتِبَةُ أَنْ تَجْعَلَ النَّصَّ مُشَوِّقًا وَمُوحِيًا؟

• تَصْميم

١ ـ ضَعْ تَصْميمًا لِلْقِصَّة.

• اللُّغة وَالتَّعْبير

١ ـ عَيِّنْ في النَّصّ بَعْضَ التَّراكيبِ الَّتي تَتَوافَقُ فيها أَزْمِنَةُ الأَفْعال.

• إنطباعات ذاتيّة

١ ـ أُذْكُرْ أَهَمَّ شَخْصيّاتِ قِصَصِ هذا الكِتابِ، مُحَدِّدًا صِفاتِ كُلٍّ مِنْها.

٢ ـ ماذا اسْتَفَدْتَ مِنْ قِراءَةِ هذِهِ القِصَص؟ تَحَدَّثْ عَمّا اسْتَفَدْتَهُ مِنْ كُلٍّ مِنْها.

• كِتابَة شَخصِيَّة

١ ـ أُكْتُبْ نَصًّا قَصيرًا بِأُسْلوبٍ سَرْديٍّ يَتَخَلَّلُهُ الوَصْفُ، شَرْطَ أَنْ يَكونَ ذا مَغْزى إِنْسانيّ.

الفهرس

إدفيك جريديني شيبوب

سر الآلة الطائرة

وقصص أخرى

